يوم الجمعة

فريق
متميزون
E-BOOK

CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE · DO NOT CROSS · CRIME SCENE

بطاقات إبقان

رؤى محمد علي

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

سلسلة يوم الجمعة

بطاقات إيقان

رؤى محمد علي

عن الكتاب..

إيقان بيتر نوستارا.. براحة يُمناه يستكين مظروف يحوي إرث جده الظالم وحول معصمه الأيسر صفد حديدي مفتاحه يمتلكه أباه.

يتأرجح بين الغموض الذي يحيط مقتل والدته وبين الانتقام من الفاعل، أكان الرئيس.. أم غيره؟

يجهل كيفية قراءة الطالع ولكن يجيد قراءة بطاقات جدّه الوحيد، نُقطة له أم عليه؟

رأى الهيروفانت مقلوبة وعندها فقط.. علم أن المساعدة ستأتي من عدو بعيد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إلى من يطأ فوق قلبه لتخطي ماضٍ ما.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إبراء ذمة.

لستُ مسؤولة عن أي فكرة متطرفة عند أي شخص، سواء دينيًا أو دُنيويًا بسبب ما يُذكر هنا، وآمل ألا تلهيكم كلماتي عن عبادة الله، لا أقدر على حمل وزر شخصٍ غيري.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

«المشاكل المتطرفة تتطلب حلولًا متطرفة»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الأول
«إيڤان»

«ننعي السيد باسكال نوستارا الرئيس السابق لمجموعة شركات نوستارا، ومن يرغب في تقديم التعازي يمكنه التقدم».

- سمعتُ أنه مات منذ فترة ولم يقوموا بالإعلان سوى البارحة.

- مات؟ قال لي شخصٌ أثقُ بهِ أنه قد قُتل.

- سواء أكان هذا أم ذاك، تلك هي عاقبة أمرك إن كنت تتباهى بكونك رئيسًا لواحدة من أكبر العصابات في إيطاليا وعلى مستوى أوروبا.

- صه! لا تعبث مع المافيا، خصوصًا وحفيده بجانبنا.

- لا يهم، إنه الضعيفُ بينهم، ألا تعلم أنه قد تم استبعاده من وراثة اللقب بسبب قلة حيلته؟

أخرجتُ نفسًا قصيرًا باستهزاء، من البديع رؤية البشر تظن فيك ما تريدهم بالضبط أن يظنّوه، وضعتُ زهرة التوليب المفضلة للرئيس أمام إطار صورته المستقر فوق طاولة مرتفعة بعض الشيء، انتصب ظهري مع تواصل الهمسات المتناثرة هنا وهناك عن ضعفي وقوة عائلتي، عدّلتُ وضع نظّارتي على منتصف أنفي قبل أن تعبث نفسُ الأصابع بخصلات شعري حتى تحررهم من التصفيفة العتيقة للشاب المُنمق المحترم والأخرى تسرّح رقبتي من قيد ربطة العنق الخانقة، آخر شيء يمكنني به وصف شعوري الحالي هو الحزن، والأصح هو الملل.

- حفيد عائلة نوستارا، إيڤان نوستارا؟

استدرتُ على قدم واحدة كي أواجه محامي العائلة يسألني وكأنه يجهل هويتي حقًا أو أنني الذي جاء هنا مُتخفيًا.

- كفاك من هذه الألعاب يا أليساندرو.

- سيد أليساندرو.

صحح لي لقبه الممل وهو يفكُّ أزرار سُترته السوداء المعتادة.

- اتبعني، اجتماع الوصية سيبدأُ خلال دقائق من الآن.

- ولِم عليّ الحضور؟ الجميع مدرك لكراهية الرئيس الشديدة تجاهي دونًا عن ذكر المشاعر المتبادلة التي يكنّها باقي أبنائه وأحفاده لي.

كنّا بالفعل نخطو باتجاه غرفة الاجتماعات بمبنى المُجمع الرئيسي، أحكمتُ قبضي على ذراعه الأيسر قُبيل لحظة من فتح الحارس للباب الضخم.

- إن أردت أم لا فالأمر سِيان، هذه وصيته وقد أُثبتت النيّة لحضوركَ بالاسم.

- قام بكتابة اسمي بنفسه!

لم ينتظر انتهاء صدمتي ودفع الباب ليقف فريقه بطريقتهم للتعبير عن احترامهم له، وقابلني النقيض تمامًا من الجهة الأخرى، كانت قاعة كبيرة بدلًا من غرفة وآثرتُ إخفاء انبهاري إذ أنني لم أدخلها قبلًا على عكس بقية نُظرائي في اجتماعات العائلة هنا وفي القصر، مكتب ضخم باللون الأسود يجلس أمامه أليساندرو يجاوره مثيله بحجمٍ متوسط لمن يسجل الاجتماع كل مرة، في مقابلهم مقاعد متفرقة خشبية مغلفة بالجلد الطبيعي، اتخذ أول صف منهم عمتي إيزابيلا بلا تعبير كالمعتاد وعلى يسارها ابنتها الوحيدة ڤانيسا، بعدها جلس أبي.. بيتر نوستارا ويحمل وجهه أقصى أشكال الامتعاض، المقعد المجاور له فارغ ينتظر شخصًا غير مُرحب به، على نفس الخط في الصف التالي جلس عمي الأصغر ألبيرتينو نوستارا ويثير حنقه اللطيف ولداه فيليب وماركو بضحكاتهما العالية بينما تجاهلتهما أختهما الصغيرة كاتيلينا وهي تلقي بشعرها البُني اللامع خلف رقبتها في محاولة يائسة لإخفاء إحراجها بسببهما، والتي بمجرد وقوع عينيها عليّ تقوّست شفتاها في ابتسامة واسعة ثم لوّحت لي مُرحبة، أعدتُ ما فعلته ثم تحركتُ لأتخذ مجلسي بجانب والدي، إن علِم بعلاقتي مع عمي وأبنائه سيتصيد لهم أصغر الأخطاء ولا أحبذ لأحد أن يعاني بسببي، هو حتى لم يخفِ كُرهه أمام الناس خارج العائلة، أنا فشل تام يلطخ تاريخه، أخرجنا صوت ارتطام الملف البلاستيكي الثقيل بسطح المكتب وحمحمة أليساندرو، كانت تلك المقدمة لاستعارة انتباهنا.

- سنفتح وصية السيد باسكال نوستارا الآن.

لم نبدأ حتى وها هي ترفع صوتها بالاعتراض كعادتها:

- أهذا ضروري يا أليساندرو؟ لا تزال الجنازة قائمة.

- أستميحكِ عُذرًا يا سيدة إيزابيلا، ولكن أوصى السيد باسكال بالتعجيل في قراءتها قدر الإمكان، ليس باليد فعل أي شيء.

تقلبت تتميزُ غضبًا في جلستها، بالطبع لا تهتم بالوصية، ما يقف على أولوياتها حاليًا هو مظهرها الاجتماعي وهذا لن يحدث وهي هنا، شرع السابق في القراءة جهرًا، كان كل ذلك هراء توزيع الإرث من الشركات والبيوت والقصور المتنوعة على الأبناء الثلاثة، كانت ثروة مهولة بطريقة مثيرة للسخرية، عندما جاء دور الأحفاد قام بنفسه وترك داخل راحة يد كل واحدٍ فينا مظروفًا يحمل

اسمه، ما أثار ضجة كبيرة هو أن خاصتي كان سميكًا وثقيلًا بينما الأربعة الباقيين لم يزيدوا عن وزن الورقة، ومَن أثارها هي عمتي.

- كيف لهذا الوضيع الفاشل أخذ شيء من الإرث؟ قبل أن نتطرق لفحواه حتى!

- أمي..

- أغلقي فمكِ يا ڤانيسا، فسّر هذا يا بيتر، ما الذي كنت تحيكه أنت وولدك الحقير في الظلال؟

- أختي! من المؤكد أن أليساندرو قد اختلط عليه أمرهم.

ركزّت ثمانية أزواج من الأعين نظراتها على المحامي الخاص وهو ينفي ما يتهمه به أبي برأسه ثم كلماته:

- أؤكد لكم صحّة القِسمة، ها هو مستند أسماء إرث الأحفاد، ليتأكد كل منكم بنفسه.

هنا صاح أبي معترضًا وحاول انتزاع المظروف من يدي عنوة:

- هيّا أعطني هذا.

- كلّا.

- ليس هناك مجال لكلّا، قلتُ أعطني هذا، أنا والدك!

- وأنا أرفض أمرك.

- لم تُصنع الأوامر ليتم رفضها في أساس الأمر، أيها الغبي.

تدخل بيننا عمّي الأصغر بعد صمت قصير وتقدير للموقف، وقف بيننا كالجدار يكاد يخفي جسدي خلفه إن لم أكن أطول قامة منهم جميعًا، شعرتُ بيد تشتد فوق معصمي وعندما التفتُ إليها إذ بي أجد كاتيلينا تحاول إيصال رسالة محددة بعينيها.

- لينا؟

- اذهب، حالًا!

وضع ماركو ذراعه فوق كتفها وهو يؤكد على أمرها بنظراته، بينما يشير إلى أخيه الأكبر وهو يقف كتفًا بكتف إلى جانب والده يصد من هم عائلتي عنّي، كل هذا تهور ولكن لدي حدس غريب بأن القادم أظلم.

التهمتُ الأرض أسفل قدميّ في طريقي المؤدي لزقاق ضيق بعيد تقريبًا عن الشركة، غالبًا ما يكون فارغًا لذلك اخترته كموقع مذهل لتصفية ذهني وسبر أغوار ما بجيب بذلتي، جلستُ أعلى حجارة موضوعة بترتيب ما لا يهمني الآن، واسترعى انتباهي عدم تحمل المظروف الورقي لِما بداخله مما أدى إلى تمزقه وظهور أطراف ورق ذهبي مهترئ، راودني شعور بالألفة تجاهها فأخرجتها فورًا، سقطت نظراتي على البطاقات المشهورة والعزيزة جدًا على قلب الرئيس، لم أستغرق ثانيتين في التعرف على نسخته من بطاقات التاروت التي اتخذت مساحة كبيرة في ذاكرتي، إذ أنه كان مؤمنًا بما تعنيه ويواظب على قراءة طالعه بها، وفي بعض الأحيان كان يجمعنا خلال طفولتنا ويشرح لنا أسرارها المتنوعة، توقف عقلي لعدة دقائق دون فهم للسبب الذي جعل شيئًا غاليًا كهذا يجد طريقه إليّ.

- ذهبت إلى الجحيم وتركتني مع هذه، لم أتخيل أن يأتي للطاغية يوم يرهب فيه مواجهة ضحاياه.

إذًا كنت جبانًا لهذه الدرجة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني
«إيقان»

على مرأى من عيني وداخل راحة يدي استكانت أربع عشرة بطاقة من بطاقات التاروت، تنوعت أشكالهم ومعانيهم التي أتقنها حفظًا ككف يدي، عادت لعقلي ذكريات مضى عليها عقدان من الزمن، لأول مرة يجمعنا فيها الرئيس للعب، قراءة الطالع أسماها لعبًا وهو الذي يؤمن بها ضمنيًا، أكرهه؟ أجل، على الرغم من ذلك حفظتُها؟ أجل، كنتُ ولا زلتُ مهووس القراءة والكتب فما كان من الشاق عليّ تمييز معانيها الظاهرة منها والدفينة، ناهيك عن أن بقيّة أولاد عمومتي كانوا غالبًا ما يوفقون وقت قيلولتهم مع وقت ألعابه، ولكنه كان رافضًا للاهتمام بي، لبثتُ أحدق بالبطاقات وتركتُ ذراعي الحاملة للمظروف الفارغ - أو هذا ما ظننته- تعود لجانبي إلى أن لاحظت سقوط ورقة رقيقة منه، الفضول ووسوسته هما الأسوأ، التقطتها وشرعتُ في فعل أقرب ما على الكوكب لقلبي.. القراءة.

«إن قُمت بحلّهِ، لك منّي مُجمع الشركات وما حولها».

«حظًا جيدًا مع اللغز.. أعلم أنه لن يأخذ منك وقتًا، ولكن احذر التنفيذ وتبعياته، وتناسى الوثوق في أحد».

طويتُ الرسالة مجددًا ثم اتخذتُ طريقي عائدًا للمنزل، ظل عقلي يدور في حلقات مغلقة حتى حين وصولي، كانت مدينتنا - مدينة تاورمينا- صغيرة بالنسبة لباقي المحيط من جزيرة صقلية، ومن السهل توقع امتلاك عائلة نوستارا المساحة الغالبة منها، سافر عقلي بعيدًا عن تحيّة أفراد الآمن وراعي الحدائق الخاص بالقصر، لطالما بغضتُ انتمائي لعصابة مافيا ناهيك عن العمل معهم، ولكن إحقاقًا للحق لم أرَ في حياتي مجموعة من البشر يجتمع فيهم الجانب الشيطاني والملائكي في نفس الأنا، يد ترعى الفقراء حول العالم وتتبرع للمستشفيات بكامل الاقتناع، والأخرى تتاجر في المخدِرات وتلعبُ ألعاب القتل وقت فراغها، لديهم وفاء منقطع النظير تجاه بعضهم البعض داخل العصابة، أم عليّ تسميتهم بالعائلة كما يزعمون؟ بالطبع هذا لا يشمل جميع أفراد المافيا - الإيطالية تحديدًا- ؛ فبينهم حقراء لا يستحقون ما هو أدنى من الشوي أحياءً، مثل أبي وجدّي.. مع الأسف قد نفد بجلده ومات ميتةً طبيعية وأخلف وراءه حربًا ستضرم النار بالأخضر واليابس، تتمثل في عمتي التي كادت أن تحوّلني إلى ملصق يعانق أرض الممر بسيارتها لولا أن الله ألهمني للقفز فورًا وها هي تنقر الأحجار أسفل كعب حذائها الغالي بانعدام صبر، تتوق لإحكام يدها حول عنقي.

- يا له من يومٍ رائع لنتلاقى مرتين يا عمتي إيزابيلا.

- ما الذي يحتويه ظرفك؟

- أخشى أن يكون فهمي متأخرًا ولكن أتحدثينني أنا؟ أم بدأتِ في الخرف قبل ميعادكِ؟

دقّت بقدميها الأرض وصولًا لموقعي ثم صفعتني، شعرتُ بالأدرينالين يتسابق ودمي يغلي، هذه العاهرة هي امرأة وأيضًا عمتي الكبرى ورغم كل هذا أقاوم الرغبة في جعل علبة مساحيق التجميل الصائحة بوجهي تعانق الجدار، أغلقتُ قبضة يدي حتى كادت تنزف.

- أنت أيها المهووس ذو الدم القذر، ظهرت حقيقتكُ الجشعة تُماثل أمك الشحاذة، أليس كذلك؟

هنا لم تعد يمناي منغلقة على نفسها بل تحيط معصمها قُبيل تهاويه مجددًا على وجنتي، سحبتها تجاه جسدي ثم انحنيتُ لأناسب مستوى أذنها وهمستُ بشراسة بادية على ارتجاف جسدها.

- كلُ صفة ستقذفين أمي بها سأجعلكِ تعيشينها من كل قلبي، لذا احذري.. ليس من المعتاد للمهووسين أكل كلماتهم.

ألقيتها بعيدًا عن مرأى عينيّ قبل أن ألقي نظرة حادة على ڤانيسا التي هرولت لنجدة والدتها برعب، لم أدر بأيٍّ من الذي قابلته أو حادثته في طريقي إلى جناحي الخاص الذي عانى في انتزاعه لي عمّي ألبيرتينو، قبله لم يكن بحوزتي سوى غرفة صغيرة بالقرب من القبو، خلعتُ سترة بذلتي ثم طويتُ أكمام القميص خلال نزعي لحذائي، ألقيتُ جسدي على الفراش بقوة وقمتُ بإراحة قدميّ في وضعية مُعاكسة، لم يُحادثني الرئيس خلال فترة طفولتي ومراهقتي أبدًا، دونًا عن المدة بين عيد ميلادي الثامن والثالث عشر، توفيت أمي عندما كنت في الثامنة وبدأت تمردي المتمثل في انطوائيتي عند الثالثة عشر، عندما عرفتُ من همز ولمز الخدم أن أبي قد تزوج بأمي ضد إرادة الرئيس ومتحديًا إياه في القاعدة الرسمية بالنسبة لعائلة نوستارا؛ «لا يتزوج شباب العائلة من أي فتاة غريبة عنّا إلا عند كونها من عائلة صديقة أو قد وافق عليها الرئيس والوضع نفسه بالنسبة للإناث» ألقى أبي كل هذا الهراء في القمامة وعاد من سفرية عشوائية له إلى بولونيا مع امرأة ببشرة ناصعة البياض يناقضها تمامًا لون شعرها وأعينها، رفضتها العائلة بأكملها بعيدًا عن عمّي الصغير كانت ردة فعله تجاهها رمادية، ولا مجال لعدم توقع رد عمّتي الكبرى على «فرد حقير من الطبقة العامة يلطخ اسم نوستارا الذهبي» كما ثرثرت طوال الوقت، وما تخيلته عندما بدأتُ أعي ما المشاعر

وكيف نتعرف عليها أن أبي قد حارب العالم بحبه لها، ولكن تلك قصص الأطفال، الواقع هنا هو زواجه منها بسبب شعوره باللذة من ضعفها، غالبًا ما عنّفها وعاد يعتذر بعدها بدقائق، أظهر كماليته أمام أصدقائه ومعارف أبيه واختص لنا السباب والألفاظ النابية، كانت أمي تُسمى ڤيور كالزهرة اسمًا على مُسمى، عُقد قرانها وهي في التاسعة عشر بينما كان أبي يمر بمنتصف عقده الثاني، أصبحت حبلى في أقل من عام مما أفشل كل محاولاتها للهروب من قيد أبي وعمتي والرئيس، جئتُ أنا أُماثلها في كل شيء ما عدا بشرتي القمحية من جهة أبي، وزاد هذا مع اهتمامها الكامل منصبًا عليّ حنق السابقين، تعمقت مشاعر الكراهية المتبادلة بل وازدادت الفضائح العلنية وحوادث العنف من جهتهم، وبالمقابل كانت تتركهم أمي وتهرع لسد أُذنيّ قُبيل أخذي والاختفاء بعيدًا، كنت طفلًا لا غبيًا.. شعرتُ بتسابق دقات قلبها مع دموعها على المركز الأول فيمن يحرز أفضل تقدم، وصل ارتعاش أصابعها إلى قلبي بينما ربتت على رأسي بخفّة وأنا بين أحضانها، ولكنها كانت ضعيفة في بنية جسدها فلم تقوَ على تحمل الضغط النفسي سوى لثمانية أعوام ذاقت فيهم الأمرّين، يوم جنازتها لم يكن هناك من يقف أمام صورتها غيري ولا وجود لزهرة سوى خاصتي، جاء أبي لدقيقتين قضاهما أمام الصحفيين ثم رحل، لم أذرف دمعة واحدة أمامه.. وعندما عدتُ لغرفتي بكيتُ وبكيت حتى جفّت عيناي وصرختُ إلى أن انجرح حلقي، هكذا نفذتُ وصيتها الوحيدة.

«لا تبكِ على مرأىً منهم، لا تظهر لأمثالهم ضعفك، لا تترك لهم حبلًا يلفونه حول رقبتك، اختزنه حتى تعود لحضن أمك، وإن لم أعد موجودة فتخيل أنك تحادثني إلى أن تقع فيمن تسرق ضعفك وتبدله بما يدفعك للأمام، بيدها وعينيها وقلبها.»

اعتدلتُ في جلستي بمجرد شعوري بالطعم المالح فوق شفتي العُليا، مسحتُ أدمعي سريعًا ثم انتفضتُ أغيّر ثيابي لأخرى مريحة، على مستوى نظري من النافذة رأيتُ أبي في مناوشة واضحة مع أليساندرو، ثاني شخص أثق تمام الثقة أنه بجانبي، تحركتُ لالتقاط بطاقات التاروت ثم هرولتُ خارج الغرفة وباتجاه ما يبث في روحي الصبر ضد قمامة عائلتي، نحو المكتبة ورائحة الكتب..

ومع غيّة اللعب بمساواة مع الرئيس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الثالث
«إيقان»

أمام قسم الرئيس المفضل وقفتُ وبراحة يدي يستقر آخر ما تركه لي السابق، وضعتُ المفتاح في قفل الباب الذهبي ثم أدرتُه مرتين التصقت بهما دقتان دلالة على ترحيبه بي، من الخارج تبدو كمبنى مهيب بلون ذهبي ناصع أما من الداخل فهي مُقسمة لثلاثة أدوار تنوعت اختصاصات كل قسمٍ بها، لي في كل طابق رُكن مميز لا يُمَس أبدًا - سواء لتقززهم منّي أو لاحترامي لا يهم- ، ولكن في الطابق الأرضي يستقر باب يحرسُ جزءً لم يُسمح لأيٍّ منّا بالاقتراب منه عدا أن يكون صاحبه يصحبنا، الآن هو في دُنيا أخرى تاركًا مفتاحه لي مما أثار ريبة أمين المكتبة وخدمها، وكأنها تحملُ عالمًا مغايرًا تمامًا داخلها، تساءلتُ حقًا لم لا يظهر حجم هذه الغرفة من الخارج؟ اختطفتُ عدة نظرات على عناوين الرفوف بلا اهتمام حتى توقفتُ عند واحد اختطف بدوره عقلي، كان يحمل اسم «قراءة الطالع» وأسفل تلك اللافتة استكانت كُتب اختلفت مواضيعها وثقافتها وبالطبع لغتها، ولكن كان هدفي محدد.. انتزعت من بينهم الوحيد الذي تُرك باسم «التاروت.. معناه وأسراره وتعلّمه»، لا وجود لغيره إذًا لا أمل يُرجى من البقاء هنا، أريد الراحة النفسية لأقرأ ما سيترك في عقدة غليظة وآخر ما أتمناه هو اجتماع كل الظروف على تدميري نفسيًا، لذا خطوتُ خارجًا للركن الهادئ في الطابق الثالث أسفل نافذة ضخمة في السقف، عند حساب اتجاه الشمس حاليًا فهو يتعامد فوق الجهة المعاكسة للمكتبة وهذا هو الوقت الأمثل، سابقًا دأبتُ على تجهيز الموقع بما يناسب ذوقي من وسائد بلون داكن منتشرة بعشوائية ونباتات متنوعة حولها على كل رف، تركتُ خلفي شالًا للأوقات المثلجة - بما أن لدي دفاعًا جسديًا مقنعًا لدرجة كافية تجاه البرد- وفواصل بألوان مختلفة لأضعها بالمشاهد التي تأسرني، ليس لدي مشروب مُفضل سوى الشوكولاتة الساخنة في الشتاء والمثلجة في الصيف فجهزتُ لها طاولة وثلاجة صغيرة تحوي أنواعًا عديدة، لولا هذا المكان ام أكن لأؤثر الصمت في مختلف نزاعات هؤلاء الحمقى، جلستُ على الوسائد بيدي الكتاب وعلى جانبي فواصلي المفضلة، كبداية تم تعريف التاروت من عدة أوجه للنظر، قرأتُ ما له علاقة بأصلي وكان أسفله خط بالحبر الأزرق العادي بخط الرئيس بصوت عالٍ لأُسمع نفسي.

- اختلفت أصول التسمية، فمنهم من يعتبر أن كلمة تاروت مركبة من كلمتين هما (تا) و(رو) وهي كلمة هيروغليفية تعني الطريق الملكي في مصر القديمة، وقيل أنها مأخوذة من كلمة (روتارو) وهي كلمة لاتينية تعني الدائرة بينما

آخرون يقولون أنها ترجع لكلمة (تارو) وهو نهر يسير في شمال إيطاليا وأنها كانت من أوائل المناطق التي انطلقت منها أوراق التاروت.

كنتُ أعلمُ بالفعل كيفية قراءة الطالع بها من خلال مراقبة الرئيس والشكر كلّه للذاكرة الفولاذية التي ورثتها من أمي، تخطيتُ صفحات لا طائل منها لأتوقف عند شرح معنى كل بطاقة، التقطتُ بطاقاته التي تركتها على الرف فوقي قُبيل جلوسي، من توقعاتي السابقة أنه لا يريدني أن أقرأ بها مستقبلي أو مستقبل أحدٍ ما وبالتأكيد ليست تذكار بل هي حلّ مرحلة أخيرة بلعبة ما، كل هذا بنيته على عدد البطاقات التي براحة يدي.. كانت أربع عشرة بطاقة بالعدد وكان العدد الأصلي لبطاقات التاروت يتخطى السبعين، حيث انقسمت إلى مجموعتين «السر الأعظم» بعدد اثنين وعشرين بطاقة و»السر الأصغر» يحمل ست وخمسين بطاقة، تمثل الأول في تلميحات لأحداث ومشاعر أساسية في حياة الشخص المقروء طالعه وعدّة دلائل روحية، أما الثاني فانحصر في تجارب الحياة العملية والدروس المستفادة منها والمحن التي مرّ بها نفس الشخص، بعيدًا عن كلّ هذا فأنا لا أحمل سوى ثلاث عشرة بطاقة من السر الأعظم وأول بطاقة من مجموعة بدلة السيوف للسر الأصغر، وضعتهم أمامي في شكل خطٍ مستقيم وهمستُ بأسمائهم خلال مرور عينيّ فوقهم.

(«الساحر»، «الإمبراطورة»، «الهيروفانت، «القوة»، «الكاهنة العُليا»، «عجلة الحظ»، «العدل»، «الموت»، «البرج»، «النجمة»، «القمر»، «الحكم»، «العالم»، «بدلة السيوف»)

لم أستطع ربط معانيها لذا خطر ببالي شيء مغاير، لبثت دقيقتين أغير ترتيب البطاقات ووضعها مستقيمة أو معكوسة رأسيًا وهي مقلوبة حتى لا أراها وفي النهاية وقع اختياري على اثنتين بالتحديد، وضعتهما أرضًا ولا يزال ظهرهما ما يقابلني، لقراءة التاروت طرق وتجميعات وأساليب يعجز الكثير عن الإلمام بها، وبما أنني أريد سبر أغوار عقل الرئيس الراحل فسأختار تشكيلة الماضي والحاضر فقط، لنرَ ونلعب على طريقته الخاصة، قررتُ أن تكون البطاقة التي تقبع على اليسار أن تُمثل الماضي واليُمنى هي الحاضر، عندما قلبتهما لمع اسميّ الموت والحُكم أمام عيني، ولكن ظهرت بطاقة الموت معكوسة - أي أن اسمها المنقوش في أسفل البطاقة يواجه الجهة التي أمامي وليس ناحيتي- بينما ظلّت الحُكم مستقيمة - أي أنني أستطيع قراءة اسمها دون قلب البطاقة- ؛ الفكرة هنا أن لكل واحدة منهم طريقتين أساسيتين في قراءتهم تعتمد على وضعية البطاقة عند ظهورها - سواء مستقيمة أو معكوسة- ، لذا فنتيجة بطاقة الموت هي عدة صفات ضرورية.

- الرغبة في التغيير، عدم القدرة على المُضي للأمام، الخوف.

وجاءت بطاقة الحُكم بصفات مشابهة.

- الوعي، التسامح، البدايات الجديدة.

ناهيك عن أن كل هذا هو ضربٌ من الحظ الكامل إلا أن لكل بطاقة رموزًا معينة وأشكالًا تترابط مع بعضها البعض داخلها، بالنسبة لبطاقة الموت فهي ترمز وعلى عكس أغلب الظنون للبدايات الجديدة دونًا عن كونها نذير شؤم وأيضًا للتخلي عن الأشياء السلبية في الحياة، بينما ترمز بطاقة الحُكم عمومًا إلى التفكير العميق لاتخاذ القرارات الصائبة وتحرير النفس من الاضطرابات الداخلية، فورًا سقط الكتاب من أعلى قدمي عند انتفاضي واقفًا، جمعتُ البطاقات في خزانة برقم سرّي خاص بي ثم تركتُ الكتاب مفتوحًا قبل أن أقبض على المفتاح قديم الشكل وأعصف خارج المكتبة راكضًا نحو الجزء الرئيسي من القصر.. الجزء الخاص بالرئيس الراحل ومن يقع عليه الاختيار من قِبله للمكوث فيه.

- بحق خالق السماء، ما الذي أنت نادمٌ عليه بعد كل هذا الوقت؟

أوقفني أفراد الأمن عندما اصطدمتُ بهم محاولًا المرور عبر البوابة المهولة.

- لا يُمكنك الدخول هكذا سيدي إيڤان، كامل اعتذاراتي.

- أريد مقابلة رئيس الخدم.

- مستحيل إن لم يقم بطلبك شخصيًا.

- استخدم جهاز تواصلك اللعين وأخبره أن إيڤان نوستارا يريد رؤيته حالًا، واثق من أنه يعرف السبب مُسبقًا.

ابتعدتُ وأنا أُمرر يمناي داخل خصلات شعري الداكنة بحنق، أخرجُ زفيرًا تلو الآخر، عشر دقائق قضيتها في محاولة جعل قدمي تكف عن نقر الأرض في عصبية واضحة حتى تكرّم علي السابق وجاء بصوت يصاحبه صقيع لم يؤثر في ولو للحظة.

- أوصل لك موافقة رئيس الخدم بمقابلتك في جناح الضيوف الرئيسي.

أصدرتُ ضحكة قصيرة مع استهزاء بيّن ثم تخطيته إلى الداخل، أنا في مكانة تجعلني أنتظر موافقة رئيس خدم البيت الذي أعيشُ فيه ليقابلني في النهاية بجناح الضيوف كأي جرذٍ قذر، وقف أمامي بهيبة وغرور أثق تمامًا بأنني شخصيًا لا أملكهما، شارب عريض يعلو لحية بيضاء قصيرة تماثله اللون ويتبعهما شعره بالمثل، يضع يديه خلف ظهره قبل أن ينحني لعدة سنتيميترات برأسه ثم تحدث بنمطية بحتة.

- فيم يمكن لشخصٍ مثلي مد يد العون لك يا سيد إيڤان؟

- أرجوك، كُفَّ عن التمثيل فأنت تعلم لم أنا هنا الآن بالتحديد، كنت أقرب شخصٍ له، سيد أنطونيو.

يدٌ داخل جيبي والأخرى ترفع نظارتي أعلى أنفي وأقسم أنني لا أناديه بسيد إلا كاحترامٍ لسنهِ، هما يتلاعبان بي كالدمية.

- لم أتوقع أنك ستصل لهذه المرحلة بتلك السرعة، ولكن كان هذا توقعه بالضبط.

- اترك الهراء جانبًا، هذا المفتاح له ثلاثة أقفال ألستُ محقًا؟

تركتُ المفتاح يهوي من بين أصابع يدي التي كانت بجيبي الأيسر بينما أمسكه من الحلقة المعدنية المعتادة، بالمناسبة لم يتغير تعبيره نهائيًا.

- كيف لك التخمين؟

- إن وضعتَ أمامي لغزًا، ألن تملك اليقين من مقدرتي على حلّه؟

تقوس فمه لبداية ابتسامة ثم استدار بعدها وتحرك تجاه سُلم مميز في إشارة واضحة لأن أتبعه، وسآخذها بأقصى ترحيب.

- بالتأكيد.

نطقها قبل أن يتوقف عند باب ينقسم لنصفين ويُفتح من المنتصف، أعاد وجهه إليّ مجددًا ثم بسط ذراعه أمامي وأردف قائلًا:

- المفتاح، بعد إذنك.

- وأي إذنٍ هذا!

سخرتُ منه خلال وضعي لما طلبهُ براحة يُسراه، كما توقعت كان مفتاح لمكتب الرئيس السابق؛ فهو مهووس بالمفاتيح المصنوعة خصيصًا، أعاد أنطونيو المفتاح لي وهمس بأذني قُبيل انصرافه تمامًا:

- أتمنى أن تُسامحه.

وصل لمسمعي صوت انغلاق الباب بخفة، الآن أنا هنا.. بنفس المكان الذي جُرّت أمي فيه من خُصلات شعرها دفاعًا عنّي، أمام ذات المكتب الذي جلس عليه بأريحية وهو يوبخني ويسبُّني بأمي أمام بقية أقراني الذين ظل يمدحهم لوقتٍ مديد، هنا في أسوأ كوابيسي، أضاءت في عقلي جملته الأخيرة.. عندها تسارعت نبضات قلبي، مسامحة؟

- مستحيل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع
«إيقان»

لما يقارب عشر دقائق كاملة..

لبثتُ دون حِراك أمام المكتب الأسود خلفه مقعد مغلف بالجلد الطبيعي يماثل لونه، قررتُ التقدم أخيرًا بعد نفض جميع الذكريات القاتمة عن أفكاري، باستخدام أصابعي لاحظتُ تراكم الأتربة عليه؛ لا أصدق أن ما بحوزتي هو المفتاح الوحيد لهذا المكان ولكن بما أن الرئيس كان معروفًا بولعه المتقد بالأشياء المصممة خصيصًا له فهذا متوقع، المستندات الموضوعة بإهمال تحمل توقعيه بتوقيت اليوم السابق لوفاته.. أو قتله، التقطتُ بأنامل مرتعشة ورقة مطوية من على الأرض بجانب أرجل المقعد، بعد فتحها اتسعت عيني حتى كادت تستدير ثم ركلتُ المقعد بأقوى ما تملكه قدمي من قوة، جُملة واحدة.. كانت بالفعل تكفي لإشعال غضبي.

«تأتي بمفردك لمكان أصل كل شيء، هكذا وإلا سترى أفعالك في الصفحة الرئيسية لكل وسائل التواصل.. ابتداءً من (ڤ).»

س. ن

لم أعد أفهم.. أكنت نادمًا أم تريد منّي الانتقام؟ من بين كل الناس اخترتني أنا، كنت تعلم جيدًا أنني لستُ أحمقًا، إنني أعي جيدًا من هو ستيدا نوبّالي ومكانته عندك من تحوّل نظرتك الجليدية عندما يظهر في التلفاز، رأيتُ في عينيكَ الأسى ولم أعتقد أبدًا أنك تستطيع إبداء مثل هذه المشاعر، ولكن ما يؤزم الوضع هنا هو أن الصديق القديم قد هدد الرئيس ومن الوارد جدًا تلطيخ يده بدمائه، أمضيتُ ساعة أخرى من الزمن في التفتيش بكل دُرجٍ وخزانة وبالطبع لم يكن لمحاولاتي طائل، لا يخلف الرئيس شيئًا قد يؤخذ ضده فيما بعد أبدًا، تحددت وجهتي القادمة داخل عقلي بعدما أصبح وجودي هنا مضيعة للوقت، أغلقتُ باب المكتب خلفي وبيدي الرسالة قد تجعدت، وعلى مرأى من رئيس الخدم وعمي ألبيرت الذي لاحظتُ الفضول يتراقص في نظراته.

- إيقان.. لأين العَجلة؟

بالرغم من ذلك تجاهلته واستمررتُ في المُضي قدمًا نحو هدفي، مجموعة شركات نوبّالي.

من الظريف كون اليد العليا للاقتصاد هنا تقع في يد الخسيس من الناس، حقًا هذا يجعل كل ما أريده سلسًا كجريان الماء في النهر، نزعت قبعة باللون الأزرق الغامق من أعلى رأس حارس أمن بوابات القصر خلال مروري أمامه

ثم قُمت بارتدائها عندما ارتجلتُ من فوق دراجتي البخارية وبعدما خلعتُ خوذتي وأبدلتها بنظارتي الطبية، على قارعة الطريق بالقرب من مبنى الشركة الرئيسي حاولتُ إخفاء وجهي قدر المستطاع، لم أتخيل أن يمر دخولي من البوابة الزجاجية - بالرغم من أنه الجلّي كونه زجاجًا مضادًا للرصاص- بسهولة، ولم أخبر أحدًا بهذا من قبل ولكنني لستُ مهووسًا بالكتب فقط بل أيضًا بحفظ أي معلومة قد تعود عليّ بفائدة مستقبلًا؛ لذا عندما وصف سكرتير الرئيس موقع جناح المكتب الخاص بنوبّالي لعمتي سابقًا تأكدتُ من تخزينه، وها أنا أجني ثمار ما زرعت، من حسن حظي واستجابة دعاء أمي لي في صغري أن دوام العمل قد شارف على الانتهاء لذا كُلٌ مشغول في إتمام واجباته ولا يوجد من يُلقي بالًا للذي يخطو في الممر متبخترًا، ومع كل هذا لم يكف عقلي عن إرسال إشارات الخطر باستمرار، يُسر اليوم مريب بطريقة مرهقة بالأخص مع السلاح المتواري أسفل ملابسي، أفكار عشوائية في دوائر مغلقة متواصلة حتى وصلتُ إلى طابق كامل بدأ بلافتة فضّية لامعة تحمل اسم «ستيدا نوبّالي» على أكتافها، عند اقترابي من الباب الوحيد هنا استدرتُ لألتصق بالحائط وقتما خرجت امرأة قصيرة فجأة من المكتب تسير نحو الاتجاه المعاكس لي، صبرتُ لثانية قبل أن تترك مسافة معقولة بينها وبين الباب تسمح لضخم مثلي بالمرور من وراء ظهرها على أطراف أصابعي كيلا أصدر صوتًا، أطلقتُ زفيرًا طويلًا عند استقراري بسلام داخل ظلام المكتب، كالمعتاد كان كل شيء مغلقًا بقفل مختلف عن الآخر سواء إلكتروني أو يدوي، أغلقت الضوء القادم من هاتفي المحمول وجلستُ أستريح على المقعد المُبطن جيدًا، حينما انفتح الباب بعد مُضيّ عشر دقائق يرفع ستار الظلام عن جسد مفتول العضلات إلا أن الزمن قد ترك عليه بصمته، حجبت قدمي المرفوعة فوق سطح المكتب رؤيتي الكاملة له.

- أنت هنا أخيرًا، تساءلتُ عن سلامتك إذ أنك تأخرت.

بادرتُ بإسقاطها أرضًا ليملأ نظري شعر مُصفف جيدًا بلون لحاء الشجر الداكن تتخلله شُعيرات بيضاء قليلة، أسفله استقرت عينان بنفس اللون مع بشرة بيضاء لامعة ووجه آلي بقليل من التجاعيد الطبيعية، صفقتُ يديّ مرة قُبيل حديثي.

- لم أتفاجأ بتخمينك لقدومي، في الوقت الحالي يوجد العديد ممن يعرفون تحركاتي القادمة.

عقد ذراعيه فوق صدره ثم اتكأ على الحائط بعد أن قام بإغلاق الباب خلفه، أمال رأسه قليلًا ليسأل بصورة مباشرة.

- أتيت لتقتلني أم لتسألني؟

- مجددًا مع التوقع، أنا لا أحب هذا.. فقط أريد معرفة علاقتي بهذه اللعبة السخيفة.

- مع الأسف هذا ليس دوري بها.

- إذًا ما هو؟

- لم لا تجرب تخمينه؟

استدرتُ بالمقعد المتحرك لأواليه ظهري خلال رؤيتي له يفك عقدة ذراعيه، تذمرتُ بطفولية خفيفة قبل انتفاضتي عند سماع دقة مألوفة.

- لن يكون الأمر ممتعًا إن أمضيناه في ألعاب العقل لا غير!

أخرجتُ سلاحي فورًا لأدور وأجده يوجه خاصته ناحية رأسي وقد تقدم حتى التصق بالمكتب الخشبي، يا للعجب فهذا ما أفعله بالضبط، لبثنا على هذا الوضع مع فوّهتي السلاحين المتعاكستين على جبهتينا، بادرتُ بالحديث هذه الكرّة.

- ما الذي فعلتموه لأمي؟

- ليس لي علاقة بڤيور.

- عكس المتوقع.

- لا آبه لما بعقلك.

- لماذا هددت الرئيس بها؟

- من المُبكر السؤال عن هذا، بدلًا من ذلك لم لا تتساءل عن سبب تدهور علاقتي برئيسك أولًا؟

ضحكتُ بسخرية للحظة قصيرة.

- وكيف لهذا أن يحمل أي صلة بي؟

- آه يا عزيزي، هذا أصل كل شيء في حياتك، والآن أنصت جيدًا فأنا أقطع آذان من يمثلون الاهتمام لما أتفوه به.

بدأ الأمر مع ثلاثة، أنا ورئيسُك وبونيتا كالابريا.. في الثانوية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الخامس
«إيقان»

لم يهتز سلاح ستيدا الناري قيد أنملة خلال حديثه، بينما ترددت نبرة صوته مرتين أو ثلاثة، لا أصدق أن هؤلاء كانوا أصدقاء في يومٍ من الأيام.

- لا يمكنك تخيل طفولة طبيعية لرؤساء من المافيا وهذا بالضبط ما حدث، كُنت مثيرًا للمشاكل في المرحلة الثانوية من عُمري، أقضي في مكتب ناظر المدرسة وقتًا يعادل فترة مكوثي في منزلي عدة أضعاف، التقى بي جدكَ - أو رئيسك أيًا كان- وقتها عندما تم ضربي حتى اختفت ملامحي أسفل آثار الدماء والوحل ولكن حينها كانت أول مرة أخرج فيها منتصرًا علميًا، وقف أمامي ذاك الشخص بهكذا غرور وقال لي «انضم إلي ولن تندم، لنحضر رأس المركز الأول في حرب المدارس وندفنها في التراب»، كان متعجرفًا حقيرًا وكنّا مراهقين حمقى برأس من البطاطا تخلو من أي منطق سوى مبدأ العين بالعين والسن بالسن والبادئ أظلم، الفارق هنا أننا من نبدأ العراك دائمًا..

- كنتما رُعناء.

- كنّا ثلاثة، التقينا بابن عائلة كالابريا الأصغر في معركة محتدمة بين مدرستين للطبقة العُليا، اللعنة على هؤلاء المدللين دائمًا ما يتحقق ما يبتغونه في التو واللحظة.

أدار فوّهة مسدسه لتواجه السقف ثم تقهقر ليسقط براحة على الأريكة بين المكتب والباب، لم يتغير تعبير وجهه القاتم ولم أخفض سلاحي بينما ترك خاصته على الطاولة أمامه وقام ببسط ذراعيه على حافة الأريكة العُليا واسترسل فيما بدأه.

- كان من الجليّ للأعمى وقتها أنه من تسبب في كل ذاك الهرج، وغد متمرد رفض السير على خُطى عائلته ومدرسته ذات التعليم المنمق اللامع، المثير للضحك أنه أوقع المدرستين في شباك بعضهما البعض بحجة «الملل» عندها وقع اختيار رئيسك عليه، الوغد الآخر له عينان جيدتان في النهاية، أصبحنا ثلاثي الموت - لقب غبي يا للإحراج- منذ ذلك الوقت، بالكاد نجحنا في التخرج من الثانوية واتفقنا على إلقاء هم الدراسة بالجامعة في القمامة وإنشاء شركتنا الخاصة، قامت بشكل كبير اعتمادًا على نقود يونيتا إذ أنه الأغنى بيننا وعلى ذكائي في اللعب بالبشر كالعرائس وأخيرًا على نرجسية رئيسك.

- نرجسية؟

انخفضت يدي من تلقاء نفسها عند الشعور بشيء مهم قادم، بالحكم على اعتداله في جلسته مع إشعاله لسيجارة رخيصة، أخذ شهيقًا طويلًا ليماثله الزفير قبل أن يكمل:

- لم تظهر شخصياتنا الحقيقية في لعب الثانوية بل عندما سقطنا في أزمات الحياة العملية، كان جدك مستفزًا باحتراف وحقيرًا بأعلى درجة ممكنة، يُمكنك أن تكون متعجرفًا أمام أعدائك فتلك استراتيجية منتشرة ولكن عندما يصل الأمر لحُلفائك يجب عليك إظهار اللُطف، لم يكن هذا ما اتبعه باسكال.. كان يتصنع اللطف ليظهره؛ إذ أنه لم يكن يعي ما هو في الأساس، الخطأ عنده بحياة ولا يهتم كيف يأخذها، تسايرتُ مع الوضع حتى انتشرت إشاعة أن يونيتا كالابريا ينفق ما أمامه وما خلفه على المقامرة والخمر، المضحك أنها لم تكن شائعة وما صحبها بالتأكيد كان حقيقة، أشهر رئيسك مسدسه في وجه يونيتا أمام الصحافة وموظفي الشركة، وعندما أطلق الرصاصة مرّت بجانب أذن صديقنا حتى أنها خدشتها، كان التصميم ينضح من عينيه، أراد قتله فعليًا، وقتها انفصل يونيتا بأسهمه عن المجموعة المشتركة يتقلبُ غضبًا، من هنا بدأ الوضع يتأزم بيني وبينه، ازداد غروره وإعجابه بنفسه قائلًا أنها خسارة يونيتا ولن يؤثر هذا عليه وبدأ في تشويه سمعته كلما سُئل عنه جدلًا، وصل بيننا الشجار عنان السماء وبعده يعتذر حينًا ويتملكه الكِبر في أخرى، شارفت الشراكة على الانتهاء بل انتهت عمليًا عندما وجدتُ ورقة مليئة بالأدوية وأسفلها رقم لم أستطع تمييزه، عندما اتصلتُ به من هاتف الشركة تفاجأ وحسبني شخصًا آخر، كان طبيبًا نفسيًا.. عندما واجهت باسكال بماهية العلاج كاد يهدم الشركة فوق رأسي، رفض الاعتراف بأنه مريض وعلل الأمر بأنها تخص الأرق وفقدان الشهية، كان هذا نقيض الذي سمعته، كان جدك مصابًا بأقبح مرحلة من مرض النرجسية، شخصية سامّة يصرخ تأثيرها عليك كما أرى فأنت مرتاب من الذبابة التي تحوم حولك.

لا أقوى على تكذيبه؛ درستُ علم النفس بسبب فضولي لفهم أفعال أبي والرئيس خصيصًا بعدما صادف حضوري لندوة عشوائية عن الشخصيات السامة في المرحلة الإعدادية، تطابقت الصفات معهما بشكل أثار ريبتي حتى عندما تطرقت للبحث وجدتُ توافقًا شديدًا، كان من اليسير على أي مبتدئ في دراسة علم النفس تشخيص حالتهما، ما لم أتوقعه هو التالي.

- بعيدًا عن أنه سار يلقي الشائعات المُشينة عنّي هنا وهناك وأنني عانيتُ الأمرّين في دحض محاولاته لقتلي مرّاتٍ عدة، المهم الآن هو ما حدث بين يونيتا وباسكال بعدها.. وعلاقة ڤيور بالحرب الناشبة بينهما.

اشتدت قبضتي على السلاح الناري إثر ذكر اسمها، قشعريرة سرت بكامل جسدي حاولتُ إخفاءها قدر المستطاع ولكن ظهرت في صوتي.

- لِم أتيت باسمها؟

- آه يا عزيزي إنها عامل كبير، لعِبت دورًا ونِعم الدور في المنتصف.

- اترك التلاعب بالكلمات جانبًا.

- في العجلة الندامة كما تعرف، كانت ڤيور جاسوسة وضعها يونيتا خلف أبيك لتأتيه بأخبار تهريب شحنة مهولة من المخدرات، لم يتوقع في أكثر أحلامه جموحًا أنه سيقع في شباكها بقلبه، كان جلُّ ما يدور بعقله هو رد الصاع صاعين لغريمه، وما حصل عليه هو أن أصبحت ڤيور زوجة بيتر بالإكراه..

- ما قصدك؟

- كفّ عن مقاطعتي هذا مزعج، ڤيور في الأصل هي ابنة خادمة تربت في بيت عائلة كالابريا منذ نعومة أظافرها ونفس الحال لوالديها المتوفيين، هددها يونيتا بهم كلما خطرت لها فكرة الانسحاب فما استطاعت التراجع، وبعدها رُزقت بك ولم يتخيل أيٌّ منّا أن تُقدسك للدرجة التي وصلت لها قبل موتها وذلك كان سببًا أدعى للاستمرار في مهمتها رغمًا عن أبيك وجدك اللذين يُمثلان ألمًا في الرأس، إلى أن تم كشفها بخطة رخيصة من طرف ثالث كان يتجسس على بيتر وإيزابيلا وأخلف وراءه عدة دلائل بنفس المكان التي ولجت إليه ڤيور بعد رحيله، كانت ضعيفة ولكن لم تكن غبية لذلك لم تترك لهم حلًا آخر، عندها قتلها يونيتا ليسبق باسكال، بالتفكير في الأمر كانت أول مرة يتفقان على شيء ما منذ عقود.

تجاهلتُ سخريتهُ إثر الطنين العالي في كلتا أُذنيّ، سقطتُ على المقعد الجلديّ عندما لم تعد قدماي قادرة على تحمل وزن جسدي، هذا كثير.. كثير جدًا، أنا أتذكر بالفعل حقيقة أن جدي وجدتي من جهة أمي قد توفيا في بداية عامي الثاني، مما يعني أنها لم تهرب بسببي، كنت أنا من أرغمها على البقاء، أنا من حطم خطط هروبها من ذاك الجحيم، أنا من تسبب في قتلها..

- توقف.

نقر بإصبعه الأوسط على جبهتي بقوة جعلتني أنتبه له، لم أدرك كيف ومتى وصل ليقف بجانبي تمامًا خلال تحديقي في لون حذائي والأرضية، وقف وهو يضع يديه داخل جيبيه وينظر لي بصمت حتى سئم ومرر سلاحي - الذي لم ألحظ سقوطه بالطبع- بقدمه ليصطدم بخاصتي وأردف قائلًا:

- وقّر ندمك وشعورك القاسي بالذنب، استثمره في الانتقام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل السادس
«إيقان»

- كيف لك معرفة كل هذا من الأساس؟

رفع حاجبيه وأمال رأسه لليمين بدرجة طفيفة، صدرت منّي ضحكة قصيرة لم أشعر بها قبل أن أجيب نفسي:

- صحيح، أنت تهوى اللعب بالعرائس.

ابتسم والشرار يتطاير من عينيه، كالحيّة يصعب قراءته.

- فتى ذكي، أحسدك.

- شكرًا، مع أنني لا أدري ما العائد عليك.

استدار يواجه النافذة ويواليني ظهره، وصلت مسامعي نبرته عميقة لدرجة تخيلي أنه قد تبدل بشخصٍ آخر، ولكنه الأسى.

- فقط أريد مشاهدة يونيتا يسقط في غياهب ظلامه الخاص، لم يكن لڤيور أي ذنب في لعبتهما وأنا أكره دفع الأبرياء الثمن نيابة عن الأوغاد.

تذكرتُ آخر كلماته بينما كنت آخذ دراجتي البخارية في طريقي للبيت، استقر الملف الذي أعطاني إياه ستيدا داخل سترتي بغموض تام إذ أنه أراد التأكد من عدم فتحي له قبل وصولي للمنزل بعدما سألته عن الهدف من الرسالة التي وجدتها في مكتب الرئيس، كان هذا هو الهدف من ذهابي في البداية ولكن تناسيته بسبب ضغط المعلومات الرهيب في ساعة واحدة، مررتُ بسلام عبر البوابة الرئيسية ثم أعدتُ القبعة لمكانها السابق، قُسم القصر الرئيسي لثلاثة أجزاء بأسماء جهاتها على البوصلة، جناحي موجود بالقسم الغربي بجانب ملحق الخدم والموظفين بينما يقيم أبي وعمّي وأولاده في القسم الشرقي أما عمّتي بامتياز من الرئيس تعيش مع ابنتها في القسم الذهبي، طبيعي في المنتصف مجاورةً لطابقه الخاص قبل وفاته، كل هذا هراء لا يزعجني بل على النقيض أنا سعيد بهكذا وضع، يتركني بعيدًا عن مشاحناتهم اليومية وقليلًا ما أصطدم بهم عن طريق الصدفة البحتة، ولهذا يعتريني القلق كلّما آتاني أحدهم فجأة.. تمامًا كوقوف عمّي ألبيرتينو أمام جناحي في وقت متأخر من الليل الآن.

- مساء الخير.

- انتظر قليلًا بعد وستستطيع قول صباح الخير.

نظرتُ للوقت في هاتفي بذعر حقيقي لأجد أنه تبقى دقائق معدودة ونتخطى منتصف الليل، كانت شركة نوبّالي بعيدة كفاية لأضيع الكثير من الوقت في الطريق، أعدتُ نظري له مجددًا بينما هو جالس بأريحية يضع قدمًا فوق الأخرى على مقعد خشبي لم يكن موجودًا لذا من الواضح أن أحد الخدم أحضره له، نظفتُ حلقي وبادرتُ بالسؤال:

- أيمكنني مساعدتك في شيء يا عمّي؟

- في الكثير حقيقةً، لِمَ لا نبدأ بسبب خروجك ركضًا من مكتب أبي الذي كنت ترفض وضع إصبع داخله وهو على قيد الحياة، وما جعلك تعود بمنتصف الليل مع وجه يماثل الموتى.

ترددتُ في اختيار الكلمات المناسبة للرد.

- عمّي ألبيرت، أنا..

- لا تبدأ في التبرير، تعلم جيدًا أنني لا أحبذه.

- أنا فقط..

استقام من مجلسه دون النظر باتجاهي ثم استدار لفتح باب غرفتي وخطا للداخل ببطء وكأنه ينتظرني لأتبعه، أنا فعلًا أقدر على قراءته بسهولة، ليس شيئًا يدعو للغرابة إذ أنه من قام بتربيتي بعد وفاة أمي، أغلق الباب خلفنا وظل ساكنًا أمامه حتى قررتُ الالتفات له بنفسي، لبثنا على حالنا دقيقتين إلى أن شعرتُ أن الجو المحيط يدعو للبكاء بطريقة مريبة، حينها ترك موقعه وتقدم ليأخذ رأسي بيُسراه ويسقطها على كتفه، فارق الطول بيننا لم يكن كبيرًا ولكن على الأقل ملحوظ كفاية ليجعلني أميل برقبتي عدة سنتيميترات لأتكئ عليه.

- أخرج ما بداخلك يا بُني.

ما هذه النبرة بحق خالق السماء؟ لم أدرك بعدها مباشرة أنني بدأت النحيب.

مرّ الوقت ووصل بي ضعفي البادي إلى عدم تحمّل قدميّ الوقوف فسقطتُ أرضًا وما زال عمّي كما هو، بشعره البُني الفاتح حتى أنك تحت ضوء الشمس قد تظنه أشقرًا، مع عينين بلون العسل وبشرة صافية باهتة اللون على عكس أخوته تمامًا، قيل أنه آخذ ملامح جدتي بالكامل، لم أرَها سوى بالصور لذا أستطيع الموافقة تقريبًا، بنيته عريضة لذا استطاع احتوائي عمليًا بين ذراعيه، عندما أفقتُ من حالتي الراهنة على ألم حارق بعينيّ سببه البكاء الغزير انتبهتُ لأنني قد بُحت بكل ما حدث واكتشفته الليلة الفائتة ولم أحصل على ذرة من الصدمة منه، ابتعدتُ بعنف أدرك مغزاه فورًا.

- كنت تعلم!

- إيڤان..

- لم سألتني إذًا؟

- إيڤان أنصت.

- مستحيل، هل كنت تخفي عنّي وتحسبني مغفلًا؟

- فلتخرس يا إيڤان!

أخذني صراخه على غرّة فصمتُ مُرغمًا، وضع وجهه بيده وتنهد مرتين قبل أن يردف بهدوء معهود عليه:

- ألم تتساءل في عقلك الذي لا مثيل له عن مدى سهولة إيجادك لرسالة نوبّالي في مكتب أبي؟ أبي الذي لا يترك وراءه ذرة غبار تكشف حرفًا عنه، أو عن سبب وجودي أمام المكتب في هذا اليوم؟ عن كيفية معرفة ستيدا بمجيئك قبل حدوثه؟

حديثه كان منطقيًا بطريقة مزعجة أثارت حنقي.

- لي خادمة تعمل تحت يدي في القسم الذهبي بالتحديد عند أختي إيزابيلا، قبل موت أبي بمدة قصيرة اكتشفتُ وجود نسخة أخرى من مفتاح المكتب بحوزتها وأمضيتُ وقتًا في الحصول عليه، أنا من وجد الرسالة بين الملفات الأخيرة حيث أنه من الوارد أن أبي لم يسعفه الوقت في إخفائها، تركتها على الأرض عِلمًا منّي أنك ستلاحظها، تواصلتُ مع ستيدا قبلك بيومين وقصّ على مسامعي كل ما بُحت به إليّ، لهذا لم أتفاجأ، تركتك تستمع للقصة من مصدرها الأصلي بدلًا منّي وإن توقعتُ رد فعلك مُسبقًا لما تكبدتُ عناء كل هذا.

تراودني بعض الشكوك من حينٍ لآخر، كيف أن هذا الجالس أمامي يبرر لي أفعاله وهو الذي يمقت التبرير، يحمل نفس الدماء والحمض النووي الخاص بأبي وعمّتي والرئيس؟ لم يهتم بي أحدٌ بهذا القدر سوى والدتي لذا ما يفعله الآن يفجر داخلي مشاعر لذةٍ وحسرة بأنني وجدتُ القليل من العسل في خلية تفيض بالنحل وأنه ليس بأبي الحقيقي، ولكن حتى هذا يقوم عمّي بتعويضه بطريقة مثالية، بسبب وجوده لم أفتقد وجود الأب في حياتي أبدًا؛ فأنا أملكُ ما هو أفضل منه، اندفعتُ لأحتضنه بقوة كاد على إثرها أن ينقلب للوراء ولكن تمالك نفسه في اللحظة الأخيرة، دفنتُ وجهي في ملابسه من جهة الكتف فخرج صوتي مكتومًا.

- آسف، حقًا أعتذر على تسرعي في الحكم عليك.

- إذن تعترفُ أنك لا تملكُ سواي أيها المهووس؟

ابتعدتُ عنه في صدمة كادت عيناي أن تستدير بسببها، صرختُ بجدية تامة لأنفي ما يتهمني به:

- ومتى أنكرتُ هذه الحقيقة!

انفجر في الضحك حتى أمسك بطنه واهتز جسده بشدة، بمشاهدة ذلك انتفضتُ بغضب طفيف خلال مسحي لبقايا دموعي بمنديل التقطته من مكانٍ قريب ثم تحركتُ للخارج، عند وصولي للباب أوقفني سحبه لذراعي من الخلف وكلماته يتخللها آثار الضحك.

- انتظر بجديّة، هل لك أن تطلعني على خطوتك التالية؟

فتحتُ الباب واتخذتُ طريقي نحو المكتبة دون إجابة محددة، وكالمتوقع قام باتباعي في صمت تام، عندها بدأتُ أنا التمتمة:

- أي جديّة تلك وأنت تموت من الداخل لتضحك بصوتٍ مرتفع؟

تقدم ليحيطني بذراعه دون تغيير في المحادثة الجارية بيني وبين نفسي في الواقع، بعد أن خطونا داخل المكتبة توجهتُ إلى رُكني الثابت فيها، أسرعتُ بفتح الخزانة أمامه بأريحية تامة ثم أخرجتُ البطاقات.

- كان إرثهُ لك هو مجموعته من بطاقات التاروت؟ حتى بعد موته ما زال يتمسك باللعب.

بدأتُ في تبديل أماكن البطاقات بين بعضها البعض وتغيير أوضاعها داخل يدي بينما قلبتُ وجهها للاتجاه المعاكس، على صعيدٍ آخر ظل عمّي يسترسل في الاسئلة:

- ولكن ما فائدتها الآن؟ أتذكر جيدًا أنك لا تؤمن بفاعليتها!

اخترتُ بطاقتين ووضعتهما مقلوبتين على الطاولة أمامنا بينما أُجيب عليه:

- كما هو الحال نفسه، لا أؤمن بها ولكن الرئيس هو من غيّر طريقة لعبه، لا يريدني أن أقرأ طالعًا ما، بل يُرسل بها رسائل معينة.

- »رسائل معينة«؟

آثرتُ تركه يرى بأم عينيه على أن أتحدث فقط، قلبتُ البطاقتين لأرى القمر والبُرج، بادر عمّي بالتفكير بصوتٍ مرتفع:

- القمر المعكوس يعني الحقيقة والوضوح والهدوء.

- ويرمز لتقبل القدر والمحاولة مجددًا لتغيير النفس للأفضل.

نظر كلانا للبطاقة الأخرى التي ظهرت معكوسة، ثم تحدثنا بنفس الترتيب.

- يشير البرج للمشكلات المفاجئة والتغيير الذي لا رادع له.

- وبما أن وضعها مستقيم فهو يدل على الفوضى والكارثة والتحول في الأحداث.

- انتظر ثانية، هذه ليست أول مرة لك في استعمالها، صحيح؟

- بلى.

- ما البطاقات التي ظهرت سابقًا؟

- الموت معكوسة والحكم مستقيمة.

- لمَ تستعمل بطاقتين فقط في كل مرة؟

- الأولى للماضي والثانية للحاضر.

- اعتمادًا على أن أبي متوفي حاليًا فلا يملك مستقبلًا ولا حاضرًا ولكن ليدعم الماضي، كان هذا ذكيًا، بالحكم على تجميعتك الخاصة فستحدث مشاكل عديدة.

صمتٌ عمّ لدقيقة قبل أن ينطق كلانا في نفس الوقت.

- يونيتا كالابريا.

- يونيتا كالابريا.

حدّق كلٌّ منّا بالآخر ومن هنا بدأت عمليًا بالتخطيط لما سيحدث ولكل درجة أصعدها من السُلم، ولكل شيء سأخاطر به.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع
«إيقان»

داخل جناحي الخاص وعلى فراشي جلستُ أُطالع الملف الذي مرره لي ستيدا قبل رحيلي مباشرة، اتضح أنه يحوي عدّة تقارير عن وفاة أمي وتشريحها ورأي المشفى التي تركتها بها سيارة الإسعاف مع بضع صور من كاميرا مراقبة في حي قديم أنيق بين مدرستين عُرف عنهما النبالة قديمًا، وأخيرًا ورقة فيها إمضاء ستيدا الخاص الذي عندما قارنته بالرسالة التي وجدتها اكتشفتُ الفرق البيّن بينهما إذ أن الرسالة خاصتها كان بسيطًا دون إبداع بينما الذي جاء مع الملف تميز ببعض الانحناءات كزخرفة لأول حرفين من اسمه، عُدت للصور.. الأخيرة بالتحديد، كان فيها اثنان يواجهان بعضهما بأسلحة نارية ويحيطهما الكثير من الرجال ببذل سوداء معتادة للحرس الخاص، صاحب الوجه الظاهر كان الرئيس ولم أستغرق وقتًا في تخمين هوية الآخر، بالحكم على هيئة يونيتا حتى دون النظر لوجهه يمكنني رؤية العُمر وقد أخذ منه مأخذه، أُرخت الصور قبل ليلة من يوم إعلان وفاة رئيس عائلة نوستارا، إذًا هكذا قُتلت..

- غريب، أأنا سعيد لأنه تم قتلك ولم تمُت بطريقة عادية؟

ألقيتُ الورق وغلاف الملف بإهمال وهممتُ أضع يدي على عيني لعلّي أسترقُ قسطًا من الراحة، ولكن قبل ذلك لاحظتُ سقوط صورة أخرى غير السابقات، التقطتها لأرى يونيتا من ظهره أيضًا يصافح شخصًا يغلبُ على ملامحه الطابع الأسيوي، لم أتعرف عليه من الوهلة الأولى لذا أخرجتُ هاتفي ومسحتُ الصورة آليًا ثم بحثتُ عنه على محرك البحث واسع النطاق، ظهرت عدة استجابات أبرزها كان صورة له في سيول عاصمة كوريا بيديه أصفاد حديدية ويحوم حوله العديد من رجال الشرطة بينما يجبرونه على ركوب سيارة تخصهم وهو يضحك بهيستيرية، أسفلها كُتب بالخط العريض الداكن ما قرأته بصوتٍ مرتفع:

- »في النهاية فَرِح جميع مواطني كوريا الجنوبية بخبر القبض على الجاسوس الأمريكي الأكثر شهرة في الأخبار الحالية، ولكن بعد عدة محاولات مستميتة نجح «كيم يو تشا» في الهرب خلال نقله للمحكمة إثر حادثٍ صرّح المسؤولون أنه كان من تدبيره الخاص، السؤال هنا كيف خطط للهرب داخل السجن؟ «

باقي المقال كان عبارة عن هراء الصحافة المعتاد، ألقيتُ الهاتف ثم أمسكتُ الصورة مجددًا، كانت بتاريخ الثامن والعشرين من يوليو الفائت لعام ألفين

واثنين وعشرين، أي منذ ستة وثمانين يومًا من الآن، بينما كُتب المقال في الخامس والعشرين من نفس الشهر، هل هو حقًا يساعد جاسوسًا مطلوبًا على المستوى العالمي؟ بدأ عقلي يعمل ويدور.. إذًا يريد ستيدا مساعدتي ولكن يمنعه كبرياؤه، أليس هذا صحيح؟ أرحتُ ظهري فوق وسادتي ببطء ثم عقدتُ قدميّ بطريقة معاكسة، بدأت بهمهمة ثم اكتملت كضحكة عالية اتسع لها فمي بسعادة للفكرة التي أنارت عقلي حالًا، تمنيتَ غرق يونيتا في ظُلماته وبما أنني شخص يرفضُ السير على توقعات شخصٍ ما سأختار اللعب معه قليلًا، في الحالتين سأذيقه مُرَّ ما فعله لأمي.

عند انتصاف ظهر اليوم التالي وفي وقت استراحة الموظفين الرسمية في الشركات المعتادة وقفتُ أتأمل اللائحة الضخمة من أعلى سطح مبنى مقابل لها، حُفر عليها اسم كالابريا للحديد والصلب، كان الطقس لطيفًا بالنسبة لحرارة فصل الصيف الحارقة لذا لم يضايقني الوقوف بجسد مغطى تمامًا بملابس سوداء بالإضافة إلى قناع يخفي نصف وجهي أسفل عيني وقبعة يماثلان لون الثياب، لبثتُ القليل من الوقت أربط بعض الخيوط ببعضها، على عكس نوبّالي ونوستارا لم تكن شركة كالابريا مُجمع لمختلف الاختصاصات، بل ركّز على الحديد والصلب، مع الشحيح من التفكير قد تتوصل بسهولة لسبب اختياره لهذا المجال، إذ أنه يتعامل مع بضاعة ثقيلة الوزن ومهولة الحجم مما يجعل نقل أيٍّ مما يبتغي أمرًا في غاية السلاسة، لذلك من النادر أن تجد له فضيحة ما، استرعى انتباهي الموظفون عند خروجهم من البوابة الشفافة في الأسفل، بدوري انخفضتُ عدة سنتيميترات لألقي حجرًا متوسط الحجم بعيدًا وألتقط رُزمة أوراق كان يعمل على تثبيتها أسفله، قسمتها لعدة أجزاء ثم شرعتُ في إلقائها تجاههم، توقف حركة الهواء كان عاملًا مثاليًا في جعل الأوراق تسقط فوق رؤوسهم تمامًا.

- الآن لنرَ كيف ستتعامل مع ذلك، النار دائمًا تبدأ بشرارة صغيرة، والإفلاس لطالما جاء من شائعة لا تدري مصدرها.

بمجرد قراءة العديد منهم لفحوى الورق بدأ الهرج يأخذ اليد العليا، من حسن حظي وسوء حظه أنه من المعتاد وجود صحفي أو اثنين على الأقل بجوار كل شركة مشهورة، هذا ما يُفسر كاميرات التصوير التي بدأت تظهر حتى مع وضوح قاعدة «ممنوع التصوير دون تصريح معتمد»، قُبيل ذهابي أمسكتُ آخر ورقة أملكها لأنظر جيدًا في الصورة التي وجدتها في الملف أمس، أسفلها كُتبت جُملة واحدة كانت أكثر من كافية لإشعال الشرارة المطلوبة.

«يونيتا كالابريا وكيم يو تشا، سمعنا أنهما اتفقا على تبادل المصالح.. ولكن هل كان القتل من ضمنها؟»

تركتها تطير لتتبع أخواتها بسلام ثم استدرتُ في اتجاه المخرج من السطح، توقفت عند الباب حينما تذكرتُ أمرًا أخيرًا، في جيبي استكانت بطاقة اشتريتها حديثًا بغرض اللعب، وضعتها في الشق بين الحجارة وخشب إطار الباب كي لا تحلق بعيدًا، لدي يقين أن كلمة «البرج» قد تنير عدة أضواء في عقلك يا يونيتا.. أتمنى أن توصلك إليّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن
«إيڤان»

حاز يونيتا على درجة مرضية من انبهاري عندما قتل الشائعة بعد مرور أسبوع واحد، تصدرت الصورة الأخبار لمدة لم تزيد عن سبعة أيام قام فيها بتصريحين نفى فيها كل ما اتُهم به، جلّ حُجته كانت عدم اليقين المشترك بين من حدثوه من كونه هو فعلًا من يعطي المُصور ظهره في الصورة وأنه قد آتى بسجلات خروجه من الشركة التي أثبتت مكوثه بالداخل حتى وقت متأخر يتعدى المُسجل أسفل الصورة، أغلقتُ التلفاز وعدتُ بظهري للوراء في المقعد المتحرك بينما استدرتُ بعيدًا عن الشاشة المُسطحة، بالطبع كل هذا كان هراء ما بعده هراء ولكن لا يقدر أحد على إثبات العكس مما أدى إلى انغلاق أفواه الجميع، نقرتُ على لساني في استمتاع وبأصابعي على سطح المكتب أمامي، الإثارة تستحوذ على الأدرينالين الساري بدمي، التقطتُ مفاتيح دراجتي والمفتاح الخاص بالرئيس ثم ارتديتُ سروال وسترة واسعة باللون الأسود فوقهم القناع ولكن لم أحكم ارتداءه، عند خروجي اصطدمتُ بآخر شخص أتمنى رؤيته في هذه اللحظة، ليس لكراهيتي تجاهها ولكنني أعلم عاقبة قدومها جيدًا.

- أنت تتسلل كثيرًا هذه الفترة، كيف لمهووس بالكتب ترك المكتبة؟

- كاتيلينا.

وقفت أمامي في ثوب يغطي كتفيها ويصل لركبتيها طولًا باللون الأخضر الفاتح، تضع يديها فوق خصرها بينما تدق على الأرض بمشط قدمها اليُمنى، ليهبني الله السلامة.

- ما الأمر مع «كاتيلينا» هذه؟

- أعتذر يا لينا، حسنًا؟ ولكن عليّ الذهاب.

حاولتُ تخطيها بسرعة ولكن تحركت لتفتح ذراعيها على مصرعيهما أمامي أملًا في منعي من الهرب، تنهدت ثم أسقطتهما لمكانهما الطبيعي قبل أن تُردف قائلة:

- لا أبتغي التلصص عليك يا إيڤان ولكن..

قلدتها وتنهدتُ قبل أن أضع كفّي الأيسر أعلى رأسها وأسحبها برفق إلى حضني، آثرتُ عدم التحرك لعدّة ثوان قبل أن أهمس بخفة:

- لا تقلقي يا لينا، أنا لستُ طفلًا..

خرج صوتها مكتومًا ضعيفًا بسبب اقترابها الشديد ومع ذلك وصلت مشاعرها كاملة.

- أعلم هذا جيدًا، لكنك قد تغيرت كثيرًا منذ وفاة جدّي وهذا يثير الريبة.

أبعدتُها خلال أخذي لشهيق طويل ثم قمتُ بإحاطة وجهها بيديّ مع انخفاضي لمستواها القصير جدًا.

- إن كنتُ في طريقٍ خاطئ ألن يوقفني عمّي ألبيرت؟

- بلى سيفعل.

- وهل هذا يحدث الآن؟

- كلّا، ولكن مارك وفيل قالا أنك..

- استمعي لي يا لينا وانقلي كلماتي لأخوتك، أعلمُ أن كل ما أنتم فاعلوه لنابع من عمق قلقكم عليّ، ولكنني أعلم كيف أعتني بنفسي؛ لذلك لن أؤذي نفسي وأحزنكم.

- لا تؤذِ نفسك لنفسك يا أحمق.

- حاضر يا آنستي الرائعة، أي شيء آخر قبل رحيلي؟

أومأت برأسها نفيًا وتمايل شعرها المنسدل إثر حركتها ثم رفعت قبضتها اليُمنى مشهرة الخنصر فقط، شابكتُ خاصتي بخاصتها قبل أن تخرج إبهامها ليلمس مثيله عندي، منذ أن بدأت صداقتنا وقت الطفولة ومع فارق الست سنوات بيننا كانت كأختي الصغرى وأصبحت هذه الحركة البسيطة رمز الوعد الرسمي بيننا، بادلتها الابتسام ثم تركتها خلفي ومعها تلك الابتسامة.

ظللتُ طوال الأسبوع المنصرم أراقب يونيتا في حالة مقابلته لكيم يو تشا ولكن كالمتوقع قد اتخذ تدابيره ومنع الالتقاء لفترة معينة، على الرغم من صياحه لمدة بمعرفته بمن نشر الشائعة عنه إلا أنه لم يأتِني أي تهديد بالقتل مثلًا، وهذا قد جعل الحركة بالنسبة لي أمرًا سهلًا، من فوائد تسللي الدائم خارج القصر أن خطواتي اعتادت على كونها خفيفة لا يشعر بها أحد وقد قمتُ باستغلال هذا في وضع أجهزة تتبع ضئيلة في كل سيارة أكتشفُ أنها تخصُ رجال يونيتا، تحركاتهم لم تخرج عن الطور الطبيعي حتى أن جاءتني إشارة بوجود واحدٍ منهم بالقرب من شركة مشهورة للنقل المحلي والدولي، عندما اتبعته استخدمتُ مسجلًا وموضحًا للصوت على حديثه مع شخصٍ يرتدي الزي الرسمي لتلك الشركة، عند انصراف السابق تتبعتُ العامل حتى اقترب من منفذ الدخول لفرع الشركة الذي تقابلا بجواره، ظهرت بجانبه فجأة ثم همستُ قائلًا:

- بيكا بو!

قبل أن يدرك ما يحدث عاجلته بضربة متوسطة القوة على مؤخرة عنقه تكفي لإسقاطه أرضًا وإصابته بشللٍ طفيف، سحبتهُ من قدمه لمكان مظلم خلف المبنى حينها انحنيت لأخذ الملفَ الذي كان يحتضنه بكامل قوته.

- هل هذا عقد النقل بين شركة كالابريا وكيم يو تشا؟

- كـ كلا!

- واثقٌ أنه يبدو كذلك.

حاول النهوض فركلته بقدمي أسفل معدته مما جعله يعود ويعانق الأرض مجددًا، كان المستند يحمل الأسماء الذي أردتها بالضبط، لا أصدق أنهم تركوا ورقة كهذه مع ضعيف كهذا، مسحتها إلكترونيًا لأحفظها على هاتفي بعدما تحركتُ إلى أقرب عامود إضاءة ثُم عُدت وتركتُ الملف على ظهره، تركتُ المكان على عجلة من أمري حتى لا أُكشف، ما أسعدني أن شركة كالابريا للحديد والصلب تقع على نفس طريق العودة من شركة النقل وإلى المنزل وليس هذا فقط، بل رؤية الشخص الذي صوّرته سابقًا عند تبادل المستند مع العامل، هذه المرة كان يسير بجانب يونيتا نفسه، التقطتُ عدة صور من بعد أملًا في أن أجد واحدة واضحة كفاية لأستعملها في المستقبل القريب.. جدًا.

في صباح اليوم التالي انقلبت وسائل الإعلام رأسًا على عقب بخبرٍ قد صدح بكل مكان.

«إثباتات جديدة أرسلها مجهول منذ ساعتين ونصف لصحيفة أڤينيرى الشهيرة تفتح من جديد ملف فضيحة يونيتا كالابريا، وجاءت مع صور عديدة للحارس الشخصي للسابق ذكره برفقته وأيضًا مع عامل لشركة سولو دي كومو للنقل المحلي والدولي، وتم إرفاق صورة مرئية قد طُبعت لتتواجد نسخة طبق الأصل من العقد الذي يحمل اسم كيم يو تشا والرئيس الحالي لشركة كالابريا للحديد والصلب دون الإفصاح عن نوع الشحنة ومحتواها، وفورًا وبعد انتشار الخبر بدأت أسهم الشركة في التهاوي بسرعة غير معقولة سببت أزمة كبيرة لها، هذا الشخص المجهول له علاقة بالحرب التنافسية بين الشركات أم سيتضح أنه عدو خاص ليونيتا كالابريا.. هذا ما سنعرفه في المستقبل.»

كُتم صوت المذيعة فجأة وصوحبَ بصوت تصفيقٍ وقهقهة عالية.

- هذا كله حصيلة عملك الدؤوب لعشرة أيام فقط، إنه بالفعل يسقط، مذهل!

- لم أنتهِ بعد، عمّي ألبيرت.

ربّت على كتفي بعنف طفيف وهو لا يزال يضحك، عندما هدأ استقام مُقررًا الرحيل لجناحه بعد ملاحظة تأخر الوقت، إذ أننا كنّا نشاهد إعادة أخبار الصباح.

- استرح الآن يا إيڤان، وانتظر النار لتنطفئ ثم أشعلها ثانية.. هكذا ستؤلم أكثر من أول مرة.

أومأتُ في صمت حتى تركني وحيدًا في الغرفة، أغلقتُ التلفاز ثم الإضاءة بالكامل وجلستُ فراشي أحدق بالفراغ، هذا الحدس اللعين لن يتركني أنام، مرّت ساعة كاملة حتى أتى لمسمعي صوت حركة خفيفة داخل الشرفة المغلقة، حوّلتُ عيني تجاهها ببطء وأنا ألعن تحت أنفاسي جملتي الفائتة عندما تعجبتُ من عدم قدوم أي قتلة مأجورين، وكأنني قد استدعيتهم، تتابع لعدة مرات صوت ارتطام طفيف بالزجاج إلى أن تهشم تحت القبضة المغلفة بقماش عشوائي، مرر ذلك الشخص يده من الفتحة الجديدة ليفتح له بابًا للدخول بأريحية، عندما أنهى تفتيشه للغرفة واقترب من الفراش ظنًا منه أنني نائم - في الحقيقة وضعتُ الوسائد تحت الغطاء للتمويه ويبدو أنها نجحت- كنت بالفعل أختبئ بين الظلال بجانب المكتب وبسبب ظلام الغرفة الحالك كان من الصعب اكتشافي، بمجرد وقوفه أمامي قمتُ بسحبه من شعره ثم تركتُ رأسه تقبل الجدار، وقع مغشيًا عليه بسهولة عجبتُ لها.. في ذلك الحين انتبهتُ لخطوات راكضة وإذ بهم كانوا اثنين لا واحد بمفرده، قام الآخر بالقفز من النافذة القريبة له حتى أنني راقبته إلى أن ودّع السور المحيط بالقصر وابتعد، استدرتُ عائدًا لذلك الذي فقد الوعي واتضح أنني أخطأتُ الحكم، كدتُ آخذُ لكمة قبضته بزخمها في وجهي لولا رد فعلي السريع نسبيًا، تفاديتها وأعدتُها بنفس النمط ولكن باتجاه جانبه الأيسر المكشوف، انحنى عليه من الألم مما ترك لي المجال حتى أدفع ركبتي في وجهه ليسقط على ظهره من الألم، أمسكته من تلابيب ثيابه ثم خرج صوتي كالهسيس.

- أمرك بقتلي أم إحضاري له؟

لزم الصمت لدقيقتين، ولكن لسوء حظه أن صبري قليل، أحكمتُ قبضتي الحرة ولكمته بها أربع مراتٍ متتالية حتى انفجرت الدماء من فمه وأنفه بغزارة، حينها فقط اختار الحديث:

- تـ توقف، سأخبرك سأخبرك.

- ابدأ.

- نصت أوامرنا على إحضارك حيًا أو ميتًا.

- إذًا هيّا بنا.

- مـ ماذا؟

أعجبتني نظرة الخوف المرسومة في عينيه، سحبته وساعدته على الوقوف ثم نفضتُ الغبار الغير موجود من أعلى كتفيه، بينما أردفتُ قائلًا:

- لا أحبذ إعادة كلماتي مرتين، نفذ أوامرك وأحضرني إليه.

قُمتُ بربط يديه بإحكام ثم ها هو يركب خلفي على دراجتي بينما أتبع الطريق الذي يخبرني به برنامج الخرائط على هاتفه، هددته عدة مرّات في حالة كذبه عليّ ولم يترك الارتجاف لثانية من وقتها، عجبًا أمر يونيتا.. يتعامل مع جاسوس مطلوب ويرسل فأرًا ليأتيه بي، سأجعله يندم على استخفافه بي.

- توقف هنا.

ضغطتُ على المكابح بقوة حتى كاد ينقلبُ من وراء ظهري إن لم يكن متمسكًا بثيابي، دفعته بعيدًا ثم ترجلتُ لأقف أمام مبنى مهترئ في شارع أراه لأول مرة.

- أرى أنك أصبحت قادرًا على إعطاء الأوامر، متأكد من أنه هو المطلوب.

أدرتُ وجهي له نصف استدارة بعينين داكنتين لأجده يهز في رأسهِ بقوة ويتلعثم.

- أجـ أجل، الطابق الرابع على اليسار.

جررته ليصعد أمامي حتى وصلنا للطابق الثاني ثم سمعنا صوت طلق ناري مرة بعد الأخرى، عندها دفعني بكتفه ثم قفز من النافذة المقابلة للسُلم، أشهرتُ مسدسي مع العازل للصوت ثم أطلقتُ رصاصة أصابت نهاية فخذه الأيسر، على آثرها سقط عدة مرات قبل أن ينطلق وهو يعرج ليبتعد، التفتُ رغمًا عن ولعه هو وشريكه بالقفز من النوافذ وأكملتُ طريقي صعودًا، عند باب شبه مُغلق صدح صوت أنثوي بدلًا من صوت يونيتا، أيضًا بلغة غريبة على أُذنيّ تمامًا.

- على رُكبك، هقولها مرة.. التانية مش هتلاقي ركبة تنزل عليها.

- أ.. أنا مليش دعوة.

وطلقة أخرى فجرت ركبة تخص شخصًا ما لا أعرفه، حوار شيق لم أفهم منه حرفًا، وقفت أمام الباب فتاة يكسوها القماش من رأسها حتى أخمص قدميها، أعرف هذا كنتُ قد قرأتُ عنه في فترة بحثي عن الديانات.. ماذا كان اسمه؟ بما كان يُسمى؟ أجل! إنه حجاب، كانت ترتدي حجابًا أسود كالظلام

المحيط ويماثله في اللون سترة تعادل من حجمها ضعفين وسروال بنفس الحجم، وضعت طرف نهايته داخل بيّادة ضخمة نوعًا ما بينما حملت في يُمناها مسدسًا، كان مظهرها لافتًا للنظر ولغتها أكثر، أجبرني فضولي على التقدم واقتحام الغرفة المكونة منها مع شخص ضخم البنية يبدو في صفّها وأمامها ثلاثة رجال بخمس رُكب تخرُّ دماءً.

- يدوبك رجعت ومُجبرة أتعامل معاكم، نخلص عشان خلقي ضيق ومش هتقف على رُكب مفرقعة.. بفكر أزين البادروم عندي ومبحبش الأنتيكات والتماثيل، سمعت إنهم وصلوا لسر التحنيط من قريب.

- أهلًا.

انصب على وجهي تركيز خمسة أزواج من العيون ولكن كان خاصتي متمحورًا عليها، حملت تعبيرًا ممتعضًا وحاجب يعلو الآخر، كم أحببتُ الإكمال!

- أنا إيڤان، أنتِ سائحة هنا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع
«داليدا»

- مين ده كمان؟

أشرتُ بإصبع السبابة إلى الزرافة التي أقبلت فجأة من الباب الذي أتذكر جيدًا أنني أمرتُ صاموئيل بإغلاقه، بينما نظرتُ مع رفع حاجبٍ عن الآخر باتجاه نفس الشخص السابق، تلعثم للحظة قبل أن يعقد كفّي يديه أمام بطنه ثم أجابني بلغة مصرية طليقة رغم أصوله الإيطالية وعيناه تستقر على الأرض أسفل حذائي:

- آسف، معرفش يا آنسة داليدا، أنا متأكد إني قفلت الباب كويس.

- تعلمان أن ترك شخص ما مُعلقًا هكذا فور دخوله ليس بالشيء اللطيف، صحيح؟

قاطعت الزرافة - أقصد الشخص الجديد- حديثنا مرة أخرى، ولكن المختلف أنه يتحدث بالإنجليزية، أيظن أنني سائحة فعلًا؟ أجهل لِمَ أغاظني هذا أكثر من تدخله في شؤوني ولكن اخترتُ الاستمرار في اللعب أكثر، فبادلتُ بين المصرية والإنجليزية البريطانية في حديثي.

- مش معقولة يكونوا كل الإيطاليين حشريين بطريقة غبية كدا، ما الذي جاء بك هنا؟

واثقة من وضوح الامتعاض بمحياي، ولكن لماذا لم يشعر بالإهانة؟ مع أنني لم أتمادَ في لغتي حتى، دقيقة من الصمت أمضيناها في التحديق بوجه بعضنا، عقدتُ ذراعيّ أمامي واتكأتُ على قدمي اليُمنى إثر الملل، حينها تفضل بالرد.

- كنتِ توجهين حديثك إليّ صحيح؟ ما الذي قُلتيه إن كان بإمكانك التحدث بالإنجليزية؟

- تحدثتُ عن كم أنك وسيم يا عزيزي.

كما أرى.. لم يبتلعها فأنا لا أجيد التحكم بملامحي إن أصابني الحنق، فتظهر جليدية غير مبالية - أو هذا ما قاله لي صاموئيل سابقًا عدة مرات- سئمتُ فعدتُ للإيطالية، حيث أنه من الواضح ترعرعهُ هنا في صقلية.

- حسنًا سأترك الألعاب، من أنت وما الذي تفعله هنا وفي هذا الوقت؟

- آه الآن تتحدثين الإيطالية أيضًا، مبهر، على العموم كنت أبتغي مقابلة شخص لا أهوى رؤيته ولكن أظن أنه تم إحضاري للمكان الخطأ.

- وأين هذا الذي أحضرك؟

- قد قفز من الطابق الثاني برصاصة في فخذه.

- لا أريد تخيل معاناته.

- ولا أنا.

وضع يديه داخل جيبيّ سرواله في أريحية لم تعجبني، أخفى غطاء سُترته أغلب ملامح وجهه وأكملها بقناع يشبه الكمامة الصحية باللون الأسود فلم يتبقَ سوى عينيه السوداء أسفل نظارته، ولكنها تبدو رمادية من نظري.. كمن فقدت لونها الحقيقي، حررتُ يدي اليُسرى وأشرتُ تجاه الثلاث رجال الذين إن لم يقاطعني كانوا ليصبحوا جثثًا بحلول وقتنا هذا، تبًا لعائلتي وأعمالها، فهم صاموئيل إشارتي في نفس الوقت وهرول ناحيتهم ثم بدأ في أخذهم وإخراجهم من الغرفة، بينما لم تنقطع لعبة التحديق المملة.

- حسنًا، لا يوجد رجلٌ هنا غير صاموئيل.. وأنت، أم لا؟ لا أعرف أيًا كان، خذ راحتك في البحث فأنا ذاهبة.

تخطيتهُ للمرور من الباب ثم اتخذتُ طريقي لنهاية السلالم من الأسفل، مع أنني أستطيع سماع صوت خطواته بالفعل خلفي وهذا نقيض ما حدث قبل أن يدخل علينا في حين غرة، أيقن تمامًا أنه يختار بين إظهار نفسه والعكس حسب مِزاجه، تجاهلته وعقلي يدور بين ألف موضوع آخر إلى أن وصلنا لآخر الزقاق بين الشارع الخارجي وباب المبنى المهجور.

- احترسي.

همسٌ جاء من خلفي حينها شعرتُ به يسحب النصف الأعلى من ذراعي الأيسر ليجعل ظهري يرتطم بالجدار خلفي وبالجدار الآخر المتمثل في جسده أمامي، طولي مائة وثمانية وسبعون ولبثتُ أعوامًا أواجه مشاكل بين الفتيات والشباب على حد السواء بسببه أما الآن فمن الجيد أنني أرى وجهه عند رفع عينيّ بدرجة معقولة، بحق الله كم يبلغ طوله؟ انقطع حبل أفكاري العشوائي عند جرّهِ لشخص آخر ملثم بالأسود من عنقه على يميني ورميه داخل الزقاق على يساري بذراعه الحرة إذ أن اليُمنى ما زالت على ذراعي، نفضته بعنف فانتبه لنفسه وعاد يرفع يديه بجانب وجهه نفيًا لأي ظن لم يوجد داخل جمجمتي من الأساس حيث أنني مستاءة كفاية لتركيزي معه وشكّي به مما جعلني أخفض حذري، استدار ناحية الساقط على الأرض ثم قام بلوي ذراعه

وراء ظهره مع كتم فمه حتى لا ينفجر بالصراخ، لا أعلم ما الفائدة المنطقة بالفعل مهجورة.

- هذا الشخص أرسلهُ من يتبعك؟

لم يرد بنفس الوقت فتركته، إن سألني أحد عن سبب وجودي هنا لن أحمل إجابة فأنا متأكدة أنه لا يتعقبني أنا، فقط أريد البقاء، راقبتُ لكماته المتفرقة خلال بحثه بثياب رهينته في صمت حتى استقام وضرب رأس ذلك الشخص بالجدار فأفقده الوعي مؤقتًا، عندما التفت مجددًا ورفع عينيه ليجدني أمامه استولى عليه هول المفاجأة، وكأنه لم يتوقع بقائي ولا حرج عليه فلم أتوقعه بدوري، تقدمتُ لأجذب الجهاز المعدني الصغير الذي من الجليّ أين وجده، وجدت يدي طريقها للجيب الخلفي في بنطالي لأخرج هاتفًا ليس بالهاتف تحديدًا.

- كاشف أجهزة التتبع.

- مذهل، سأعطيك جائزة.

يا لوقاحتي، وضعت الاثنين فوق بعض وانتظرت بينما أخذتُ ورقة كانت في يده الأخرى تجاهلني وظل يحدق بها، دقيقة إلا خمس ثوان وبدأ بالفعل الطنين المشترك بين جهاز التتبع الصغير بيدي ودراجة بخارية قريبة، تركني وركض تجاهها فورًا، خلال تفتيشه لها قُمت باستكمال التطفل وقرأت محتوى الورقة السابقة، كُتب بها حرف الألف بالإنجليزية خمس مرّات وبينها رقم واحد واثنان وثلاثة بنفس اللغة، كانت هذه طريقة تسجيل لوحة المركبات عمومًا في إيطاليا، ومعها مواصفات لشخص ما، بالتأكيد تلك أرقام لوحة دراجته وهذه مواصفاته، عندما أخرج جهاز التتبع من خلف اللوحة وقفتُ بجانبه ثم أردفتُ قائلة:

- نفس الشخص؟ طريقة رخيصة في التتبع بكل صراحة.

- كلّا.

لاحظتُ سكونه واختفاء المرح من نبرته فجأة، اقتربتُ أكثر ثم انحنيتُ برأسي قليلًا مع درجة استدارة طفيفة لأنظر في عينيه إذ أنه طأطأ خاصته للأسفل.

- لا علم لك بهويته؟

رفع رأسه خلال استنشاق طويل للهواء، أدارها في الاتجاه المعاكس ثم عاد ليأخذ جهاز التتبع والورقة وبدأ في نزع غطاء رأسه فظهر شعره الأسود حرًا قبل أن يخفيه مجددًا أسفل خوذته، تمتم وبالكاد سمعته.

- كلّا، كان هذا خط أبي.

بعدها مباشرة أدار محرك دراجته وهمَّ بالرحيل، استعدتُ الورقة بسرعة وبسطتُ يُمناي لصاموئيل الواقف بجانبي من فترة قريبة.

- قلم، سام.

وضع قلمًا داخل راحتي فبدأتُ الكتابة على ظهر نفس الورقة ثم أعدتها له وابتعدتُ عن طريقه.

- إن ابتغيت أبدًا مشاركتي في العمل قابلني هنا بعد ثلاثة أيام، أملكُ فضولًا أتمنى ألا يخذلني.

لا أدري إن كنتُ محقة أم لا ولكنني شعرتُ بابتسامته من خلف زجاج الخوذة الداكن، أدار المقود بيديه ثم التهم الطريق مغادرًا، اقترب وقع أقدام صاموئيل وصوته يحمل بعض السخرية:

- تنكرين طباعكِ المصرية، ولكنك بدأتِ في مساعدة غريبٍ مشكوك في أمره مجددًا.

- اخرس.

استدرتُ في طريق السيارة الخاصة بي وبعقلي جملة واحدة، أرسل والده قاتلًا مأجورًا وراءه، هذا النوع من الأشخاص ومشكلاته هو ذوقي تمامًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل العاشر
«إيقان»

تركتُ الورقة ولم أنظر فيما كُتب بها، كان الوضع بأكمله غريبًا بسببها ولا أفهم سبب عرضها للمساعدة منذ بادئ الأمر، مررُت من خلال بوابات قصر نوستارا وبدلًا من التوجه إلى القسم الغربي حيث جناحي قُمت بتغيير طريقي لينتهي عند القسم الشرقي، بعدما توقف محرك الدراجة خلعتُ خوذتي ونظرتُ لأعلى، بالفعل كان أبي واقفًا خلف نافذته يراقبني بصمت، أشعلت رؤيته داخلي العديد من المشاعر كان المهيمن عليها هو الغضب، نهشتُ الطريق أسفل قدميّ حتى وصلتُ عند بابه فتوقفت، لم يفتح الباب مع معرفته بوجودي يا لغروره، دَقَقتُ الباب عدة مرّات إلى أن ضاق بي صدري فركلته ليسقط ويُخلي الطريق بيني وبين أبي الساكن على مقعده المُفضل أمام النافذة، ولَجتُ الغرفة بروية حتى توقفتُ أمامه يفصل بيننا أقل من متر واحد.

- أصبحتَ تبعث من يقتفي أثري، ما الذي أوكلته إليه، قتلي؟

قابلني صمت تام.

- لمرة واحدة أجبني بطريقة صحيحة، أتريد التخلص منّي!

لم يكن يثبتُ أنظاره على ولده بل يهيم خارج زجاج نافذته الطويلة، ورغم ذلك قرر الثبات على هذه الوضعية وهو يحدثني وكأننا نناقش طقس الغد لنزهة ما.

- أنت حيٌّ ترزق أمامي ها هنا، ما المشكلة إذًا؟

بدأ صوتي ينكسر فأخفيته سريعًا أسفل غطاء البرود.

- أتظن حقًا أنك لم تخطئ لطالما أنني سليمٌ معافى؟

- لا تُجب سؤالي بسؤال.

بحق الله ما الذي أنا بفاعله؟ أعلم تمام العلم أنه لا طائل من النقاش معه وتأكدتُ من هذا بعدما تعمقتُ في دراسة علم نفس الشخصية، أبي نرجسي يُصنف من الشخصيات السامة، مهما حشرته في الزاوية سيجدُ مخرجًا ليس منطقيًا بطريقة ما، كان ذلك هو الحال منذ وفاة أمي واجتيازي للمرحلة الابتدائية، في النهاية أصبحنا هنا..

- لم يكن ليصبح الأمر بهذا السوء في عينك إن أنصتَّ لحديثي وقُمتَ باتباع تعليماتي.

- أيُّ هراءٍ هذا؟

- إن تفوقتَ على ابن عمك لما كنّا هنا، لما وضعتُ رأسي في التراب كلما سألني أحدٌ عنك! أين إنجازاتك؟ حقير يتجول متفاخرًا بكُتبه ودراسته لقمامة علم النفس، الكُتب من المفترض أن تثقف الشخص وتجعله أرقى بينما ما زلت في أسفل السافلين، ما فائدتها بحق خالق الجحيم؟

- أنا لستُ مُدعاة للإحراج!

صراخي جعله ينتفضُ من على مقعده ويقترب بانفعال بيّن، ويقابل خاصتي بمثيله.

- بل أنت كذلك! دائمًا ما تحمل كتابًا حتى على طاولة الطعام وتتجاهل الأحاديث المهمة، أين نتيجة أطنان الأموال التي أنفقتها عليك؟ أين العائد؟ كلّ هذا بسبب الأساس العقيم الذي زرعته أمك فيك، حتى بعد عشرين عامًا لا تزال تتحدث بلسانها وكأنني أبصرها حيّة.

- لا تأتِ بذكر والدتي!

- استمر في الدفاع عنها وستخسر مثلما فعلت هي، قد بذلتُ قصارى جهدي معك وليس عندي استعداد لإنهاء حياتي على يدك، ولكن اعلم هذا جيدًا..

كان يجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا خلال حديثه ثم توقف أمامي وعاد صوته طبيعيًا.

- ستفشل ولن تجد مكانًا يأويك سوى بجانب القمامة أمثالك إن لم تعد تفكيرك وتختر الجانب الصحيح، حينها لن يعاتبني أحد في تربيتك فأنا قد فعلتُ كل ما يقع على عاتقي تجاهك ولم تعُد طفلًا أُسيركَ كيف أشاء.

لوهلة التقت أعيننا وتملكتني شجاعة واهية.

- وكأنني اخترتُ أن أُولدَ كابنٍ لك، أو أنني أشعُر أنكَ حقًا والدي.

لم أُفق إلا على حرارة عالية في خدي الأيمن وصوت حاد يلسع صفحة الصمت الذي ساد لثوان، ويده التي عادت لتحلق في الهواء قبل أن يلتفت بعيدًا عني خلال تمتمتهِ بتقزز، خرجتُ بدوري من الغرفة وأنا لا أبصرُ ما يأتي أمام عينيّ من الغضب.. والرغبة العارمة في البكاء، لمحتُ في جزءٍ من الثانية كاتيلينا تحاول الوصول إلي والدموع تنهمر من عينيها بينما يقبض فيليب على ذراعها ويمنعها بيدٍ لاحظتُ نفور العروق منها، بجانبهم ماركو جالسًا على الأرض يخفي وجهه بين كفّيه، مررتُ أمامهم عائدًا لجناحي أسرع من السابق عندما شعرتُ ببوادر الدموع تتجمهر داخل مُقلتيّ، فوجئتُ بوجود عمّي الأصغر بجانب فراشي حينما وصلت فآثرتُ الذهاب للمرحاض، كان من

الغريب عدم تواجده بجانب أولاده في هذا الوقت المتأخر من الفجر في أساس الأمر، لم أفق من أفكاري السوداء إلا عندما سبّبَ الماء البارد صدمة بعقلي حينما وضعت رأسي بالكامل أسفله، كانت هذه طريقتي المعتادة في استحضار الهدوء عنوة، انتهيتُ بعدها بعشر دقائق فبسطتُ يدي لالتقاط المنشفة ثم وضعتها على عنقي غير راغب في تجفيف شعري، هممتُ بالخروج ولكن غيرتُ رأيي لأجلس على الأرض وأتكئ بظهري على الباب عندما شعرتُ بخطواتٍ تقترب من المرحاض، جلس بنفس وضعيتي ثم ابتدأ الحديث الذي لم يشاركَ به أحدٌ غيره:

- أنت تعرف أنه لا يتحدث عنك بل عن شخصٍ ما دنيء في مخيلتهِ ليبرر لنفسه الشعور بالعظمة، وتعرف أنه مهما فعلتَ لن يرضى عنك وستظل بالنسبة له ذليلًا لا فائدة تُرجى منك، وتعرف أنه يغار منك لنجاحك، تظنُّ أننا نجهل أمر أسهمكَ في البورصة المحلية والعالمية؟ ستثبتُ أنك غبي إن فعلت، أقل القليل بعد وستمسي أغنى منّا جميعًا وأنت بنصف عُمرنا، أنا لا أدعم أخي الكبير فيما يفعله بك يا إيقان وأبدًا ما فعلتْ، تدخلتُ قبلًا في العديد من المرّات من وراء ظهرك وكل ما كان على لسانه «أنا أخوك الكبير، كيف لك تصحيح تصرفاتي؟ ولا يحق لك التدخل.. ولدي وأنا حرٌّ أفعلُ به ما أبتغي».

كنتُ على علم بكل هذا بالفعل ولكنّه قام بتغيير طبقة صوته لتكتمل سخريتهُ فضحكتُ رغمًا عنّي، بعيدًا عن عدم سماعه لي قام بالاسترسال في كلماته:

- تشرب والدكَ وأختي مرضهما من أبي شُربًا، لم تكن أمي تهتم لأمرنا وآثرت الانشغال بمشاكلهما الشخصية بدلًا منّا، بينما حاولتُ الخروج من دائرتهم منذ صغري لذلك لم أكن موجودًا بالمنزل أغلب الأوقات، تعلمتُ الفصل بينهم وبين حياتي الشخصية سريعًا فأدى ذلك لاستقلالي وزواجي المبكر مما جعل أبي يهملني أسرع منهم، وقفتُ بوجهه عندما حاول التدخلَ في حياة فيليب وماركو أولًا فلم يفكر حتى في الاقتراب من لينا، هذا ما لم أستطع فعله معك وما يجعلني هنا حالًا ليس الشعور بالذنب أو الشفقة تجاهك، اترك الصلة بالدم جانبًا.. ستظل ولدي أنا ونورين زوجتي وأخٌ أكبر لأولادي، دعمي ومشاعري وتواجدهم بجانبك في أي وقت.. هذا كلّ ما أستطيع أن أهبك إياه، لك كامل الحرية في اختيار تقبلهم أو لا ولكن أعتذر فقرارك لن يوقفني.

أشارت الاهتزازات عبر الباب والنقر الخفيف للخُفّ المنزلي إلى رحيله، وأشارت دموعي المنهمرة إلى صدق مشاعره، التقطتُ نظارتي الطبية ذات الإطار الواسع ثم أخذتني خطواتي إلى خارج المرحاض وبيدي سترتي التي خلعتها بمجرد دخولي، جلستُ على الفراش أحدق بالورقة التي تركتها معي تلك المحجبة، أو بالأحرى:

- داليدا ندرانغيتا، يا له من اسم مميز.

إذًا هي من أبناء عصابة الشجاعة والوفاء - هذا ما اشتهرت به المافيا خاصتهم بسبب معنى ندرانغيتا في اليونانية- ، وللصدفة المذهلة أنها عدوتنا، دونًا عن ذكر تناقض أسلوبها الوقح في البداية وعرضها المساعدة بلسانها في النهاية، فهي شريكتي المثالية.

الليلة التالية لما حدث قضيتها بين أوراق الرئيس وتصفح حاسوبه في محاولة اختراقه، بما أنني من يحمل المفتاح الذهبي فلي حق ولوج كل صغيرة وكبيرة به، طبعًا لم أسلم من تذمر عمّتي وأبي الذي وصل حد الصراخ أمام الباب ولكن لم ألقِ بالًا لهما، أخبرني ستيدا عندما حادثته على الهاتف أنه مهما كانت العلاقة بين يونيتا والرئيس فلا بد لهما العمل معًا، ولم يكن كل هذا «العمل» قانونيًا - بديهيًا- ، فها أنا ذا أصفقُ وأقفزُ عاليًا إثر الفرحة التي غمرتني بمجرد رؤية ما ظهر على شاشة الحاسوب، ابتعدتُ عن المكتب لألتقط بطاقات التاروت التي أحضرتها وتركتها بإهمال على الأريكة، بعد تحريكهم داخل بعضهم بعشوائية وقع اختياري على اثنتين وضعتهما على سطح المكتب فظهرت أمامي بطاقة عجلة الحظ مستقيمة وبجانبها بطاقة مجموعة بدلة السيوف من السر الأصغر.

- ترمز عجلة الحظ للفرص القادمة والتغيير، ووضعها المستقيم يعني الحظ الجيد والمخاطرة الإيجابية.

ساد الصمتُ قليلًا حتى نقرتُ على البطاقة الثانية وتحدثتُ مع نفسي بصوتٍ عالٍ:

- ترتبط بدلة السيوف بعنصر الهواء وتتعلق بالمنطق والعقل والحقيقة، وكيفية استجابة الشخص للمواقف والتحديات في الحياة..

في بعض الأوقات أظن أنني أقرأ تلك البطاقات بالنحو الذي يرضيني ولكن أدحض كل هذا بفكرة أن هذا هو الهدف من اللعب بالتاروت، فكل شخصٍ له وجهة نظر وكلما ذهبت لمحترف مختلف عن سابقه جاءك بوجهة نظر جديدة وقد تجد أن الاثنتين صحيحتان رغم تضادهما في أغلب الأحيان، لهذا لا أؤمن بهكذا هراء.

اخترتُ العودة عندما انقضى منتصف الليل والنوم حتى آخذ كفايتي، فالغد وبعده.. يومان طويلان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

فريق
متميزون
E-BOOK

الفصل الحادي عشر
«إيقان»

«تنفرد «لا ستامبا» للإعلام والصحافة باللقاء الحالي مع يونيتا كالابريا والذي سيحدثنا عن الإشاعات الأخيرة، وأجدد المستجدات.. قضية عالمية لتهريب الأعضاء البشرية والمخدرات. رتبت المذيعة أوراقها على مكتبها قبل أن تبدأ الحوار مع ضيفها بالتحية وتبادره بالسؤال.

- أهلًا بضيف برنامجنا لليوم، رجلُ الأعمال الكبير يونيتا كالابريا، لنا الشرف الكامل بسبب حضورك.

- بل الشرف من نصيبي.

- أشكرك، لنستهل على الفور موضوع حلقتنا اليوم لقلة صبر المشاهدين وفضولهم، سيد يونيتا هل لك أن تطلعنا على رأيك في ما يحدث في حرب الشركات هذه الفترة؟

كان يومئ برأسه فقط طوال حديثها وعندما اختار الرد كان ذلك هو ما أتى به.

- أرجو منكِ تحديد سؤالكِ أكثر.

- بالطبع، ما رأيك سيدي تجاه الشائعات المتداولة ضدك بين تهريب مخدرات والعمل يدًا بيد مع جاسوس عالمي والآن ظهر تهريب الأعضاء البشرية، حتى أنه لم يتم حل الوضع مع «كيم يو تشا» الهارب حتى الآن.

تنحنح مرتين قبل أن يباشر بالإجابة على المذيعة الشقراء الجالسة أمامه:

- بالطبع تم النظر جيدًا في مسألة الجاسوس العالمي وبالفعل صدر الحكم بأن موظف شركة النقل كان متورطًا بهذه الجريمة في حقي وقام بتزوير المستند لعداوة شخصية قديمة يحملها تجاهي، واثق أن مدير أعمالي أعطاكم نسخة من المستند الأصلي.

أدارت المذيعة عينيها ناحية رجلٍ خلف الكاميرا الجانبية وأومأت فظهرت على الشاشة خلفها صورة طبق الأصل من المستند الخاص بالشائعة ولكن تم تبديل اسم الجاسوس بآخر إيطالي ومحتوى الشحنة أصبح صناديق مغلفة وجهتها دار أيتام صغيرة في الجنوب الشعبي من صقلية، نظرتْ المذيعة ليونيتا مرة أخرى ووجهت سؤالها في مقتل: - إذًا ما قولك حيال هذا؟

أظلمت نفس الشاشة لتضيء ثانيةً وهي تحمل عقدًا آخر، هذه المرة كان يجمع شركة ومجمع شركات من أشهر الموجودين في الساحة بتهمة تهريب

الأعضاء البشرية.

- هذه الكرّة تم اتهام سيادتك بالاشتراك الغير قانوني في تهريب الأعضاء مع مجموعة شركات نوستارا، الذي كان رئيسها السابق باسكال نوستارا صديقًا مُقربًا لكَ في يومٍ من الأيام وأصبحت بينكما عداوة شديدة قبل أن يتوفى المذكور سابقًا، هلً لديك أي اعتراضات؟

قام بتجميع البرود والثلج الذي عنده منذ صغره وما سيحوذه في المستقبل ثم وضعه بنبرة صوتٍ قرر إخراجها لا مبالية:

- أرفضُ الحديث بدون المحامي الخاص بي، وأي قول في هذا الشأن مكانه المحكمة.

لم تتوانَ المذيعة عن إلقاء الأسئلة حتى بعد الرفض الصريح لإجابتها.

- لك كامل الحق، إذًا هل لديك فكرة أو شك معين تجاه صاحب الشائعات السابقة والقضية الجديدة؟ إذ أن محامي المُدعي رفض كشف هوية صاحب الادعاء.

- أجل بالطبع لدي، ولكن كلها ظنون ولا أستطيع اتهام شخصٍ ما بالباطل فهذا ليس من شيمي، لن أفعل للناس ما يُفعل بي لمجرد غضبيٍ بسببه، سأنتظر المحكمة العادلة لأرى صحة ظنّي من عدمه.

- جزيل الشكر نيابة عن كل من يتابعنا، الآن بخصوص المشروع الجديد..

أغلقتُ التلفاز ثم ألقيتُ جهاز التحكم عليهِ بحنق، كان من المفترض أن أفكر بهذه الاحتمالية، كان يجب عليّ تدبير حلٍّ آخر لا يوجد به عامل بريء يبتلع ذنب حقيرٍ غيرهُ ويعاقبُ عليه، ولكن سأصحح كل هذا، سأضعه في نصابه الصحيح بالتأكيد.

- سأريهم القمر الأحمر في وَضَح النهار.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثاني عشر
«داليدا»

مرّ يومان على اصطدامي المُفاجئ بمن عرفتُ بعدها أنه إيڤان نوستارا، حفيد عائلة نوستارا المتوسط، وها أنا ذا في المربع الفارغ محاطة بعدّة مباني سكنية مظلمة بسبب تأخر الوقت، مسحتُ المكان بعينيّ ثلاث مرات ولم أجد شبحًا حتى.

- قولتلك على المعاد والمكان وسيبتني أوصل قبلك، لو كنت في مصر كان زماني عملت حوار، أدي آخرة المساواة بين الزفت والنيلة.

تمتمتُ في تذمر خافت خلال عقدي لذراعيّ أمامي، لا أؤمن بالمساواة بين الرجل والمرأة ولو لم يكن أبي من يرغمني على هذا الألم في الرأس لاخترتُ البقاء في المنزل وتنظيف الأتربة عوضًا عن الدماء، اقتربتُ من حائط قديم لأتكئ عليه وأنتظر قليلًا بعد، لا أعلم ما يجعلني أفعل هذا ولكن فضولي يقتلني وحدسي يخبرني أنني سأستمتع كثيرًا مع فائدة مُرضية في ذات الوقت، شعرتُ بانقباض مفاجئ في معدتي استدرتُ على إثره مع سحب سلاحي من أسفل حزام سروالي، فوهتهُ كانت موجهة نحو الوجه الوحيد الذي لا أرغب بتفجيره حاليًا على الأقل، رفع ذراعيه بجانب رأسه عاليًا عندما اصطدم بالجدار خلفه دليلًا على استسلامه ثم أنزل اليسرى لينزع قناعه وبالأخرى قُبعته.

- أنويتَ قتلي وترك جثتي بمكان مهجور؟ القدوم متسللًا من الخلف حركة سخيفة كما تعلم، أو أنك لا تعلم؟

ضحك لثانية قبل أن يتمالك ذاته ويترك يديه تدخل جيبه بسلام حتى خلال سُخريته.

- يعتريني الفضول لطريقة تعليمكِ لي إن قلتُ أنني جاهل، ولكن في أغلب الأحوال سأخسر بسببها قدمًا أو عينًا وربما روحًا لذا.. لا شكرًا.

وقف مرتاحًا للغاية يشيرُ بعينيه لمسدسي، انتبهتُ لكوني ما زلتُ أوجهه نحوه فوضعته أسفل ثيابي مجددًا.

- أردتُ اللعب معكِ قليلًا.

- ألم تخبركَ أمك ألا تلعب مع الغرباء؟

لم يجب، هو ببساطة لم..

- أحيه!

كتمتُ فمي بيدي فورًا، من أريحية الموقف تناسيتُ تمامًا أن والدته مُتوفية، حتى أنني تحدثتُ بلغتي الأم دون أن أدرك - العرق الإسكندراني غلّاب- ، مما سبب عدم الفهم البادي في انعقاد حاجبيه وبعينيه، أخفيتُ وجهي داخل نفس اليد ثم تنهدتُ مرة.. اثنين، أو ثلاثة لا أعلم، في النهاية اخترتُ الحديث بالكلمات بدل التخاطر.

- آسفة، حقًا تناسيتُ الأمر رغمًا عنّي، ذاكرتي لا تعمل في أغلب الأحيان.

- لا بأس عليكِ، إذًا كيف تنوين أن تشاركيني يا..؟

- داليدا.

- أجل! داليدا.

- أنت حقير!

- هذا من حُسن ذوقكِ.

أخرجتُ صوتًا عشوائيًا من حنجرتي دليلًا على الحُنق بينما شاهدته يتخذ طريقه نحو ما يشبه المكعب من الأسمنت صنعه تقريبًا سُكّان الحي للجلوس، وهذا بالضبط ما فعله، استكنتُ بجانبه مع ترك مسافة معقولة ثم رفعتُ قدمًا لأتكئ برأسي عليها وتركتُ الأخرى على الأرض، بادرتُ بالحديث بعدما ساد الصمت:

- أنا على دراية كاملة بعداوة عائلتينا يا إيڤان نوستارا.

- بداية جيدة.

حوّل نظرهُ إلى وجهي، كانت عيناه لا ضيقة جدًا ولا واسعة جدًا، حدقتُ في حذائي ثم استرسلتُ:

- وجودي هنا مرفوض تمامًا من قِبل والدي، ولكن بما أنني أفعل أغلب ما يقوله رغمًا عني لي بعض الصلاحيات، وأريد مشاركتك بسبب الحدس الذي يخبرني أنك ستعود عليّ بفائدة.

- لا يمكن أن تكوني جادة.

عُدت لأنظر له بوجه جامد وهو يبتسم بسخرية، ثانية.. اثنان ثم تبدلت تعابيره، انعقد حاجبيه واتسعت عيناه أكثر.

- أنتِ جادة!

- لا أتذكر أنني مازحتُكَ قبلًا.

- لا أتذكر أننا تحدثنا بشكل طبيعي قبلًا.

- لا أتذكر أنني قابلتُكَ بشكل «طبيعي» قبلًا.

استدار استدارة كاملة تجاهي وقام بتربيع قدمه ورفع كفّي يديه المنبسطين أمامه، أردف بهدوء قائلًا:

- حسنًا حسنًا لنتوقف هنا، هل لديكِ أي فكرة عمّا أخوضه؟

عُدت لنبرتي الباردة المعتادة، لم أحتج إخباري أنني استخدمها حتى.

- مناوشاتكَ مع الوغد يونيتا؟ أجل.

حاز هذا على كل صدمته، أظنه فعليًا قد بذل جهدًا كبيرًا في إخفاء تحركاته.

- كيف..؟

- لا ضغينة، لم أراقبكَ ولن أفعل، فقط ربطتُ الخيوط ببعضها بعدما استفسرتُ عن الوضع من أبي واكتشفتُ أن المكان الذي رأيتكَ به أول مرة - وذهبتُ هناك لأغلق مسألة ما دون إعلام أحد- هو موقع معتاد لكلاب يونيتا إن أرادوا «تنظيف» شخصٍ ما، خصوصًا أن أبي يعلم ما حدث لوالدتك، كان تصديق هذا التخمين أصعب عندما جُرّت عائلتك للحفلة، ولكن كلها أمور شخصية فلن أتدخل ما لم تسمح لي.

كان قد وضع مرفقه الأيمن فوق ركبته واستند بوجنته عليه، هدأ لدقيقة ثم عاد ليسأل:

- من أين لوالدكِ العلم بوضع أمي؟

أجبته على الفور وبدون تردد، سؤاله هذا ينبع عن الشك، يشك أننا متعاونون مع يونيتا.

- كان أبي وذاك الحقير شركاء قبل عشرين عامًا ولكن حادثة والدتك فرّقت بينهما، لم يرُق لأبي طريقة يونيتا في إنجاز أموره وكما يقولون كانت تلك القشة التي قسمت ظهر البعير، فسخا الشراكة فيما بينهما ومنذ ذاك الوقت وهما علميًا أعداء.

- وعمليًا؟

- يتمنى أبي قتله وتمنعه العاقبة وألم الرأس الذي بعده.

أومأ برأسه في صمت ثم وضع يده في جيب سترته ليخرج عدة بطاقات ذهبية يتداخل بها نقش باللون الأسود، كان شكلها مألوفًا لذا سألته ببساطة:

- أشعر أنني رأيت ما بيدكَ قبلًا، أهذه بطاقات التاروت؟

نزع عينيه من عليها لينظر إلى وجهي بتعجب.

- تعرفينها!

هززتُ رأسي عدة مرات إيجابًا فأعاد نظره إلى البطاقات ولبث يخلطها ببعضها ثم وضع اثنتين أمامه في وضع معكوس خلال شرحه لطريقة قراءته لها، من الواضح أنه قرأ عن الإسلام إذ أنه أوضح بشكل متكرر وممل أنه لا يؤمن بها وبالتأكيد هذا بسببي، طريقة لعبه بها ليس بها أي شيء وبالنسبة لي هي فقط شبهة، قلبهما ثم قرأهما بسرعة.

- بطاقتا النجمة والعالَم مستقيمتان، اتفقت البطاقتان على معناهما..

- والذي هو؟

- الإنجاز والإبداع والإيمان بالجهد المبذول، إذًا علينا الإبداع، هذا سهل.

هو قالها بضمير المُثنى أليس كذلك؟ بدأ يجمع بطاقاته ويعيدها حينما قاطعته بهدوء وشك:

- كلماتكَ تعني ما أفكر به؟

أعطاني ابتسامة واسعة قبل أن يبسط ذراعه وكفّه أمامه، ثم أردف مجيبًا:

- أجل، أتمنى أن نكون شريكين متناغمين.

وضعتُ يدي بيده، حمدًا لله هنا يبدأ اللعب الممتع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثالث عشر
«إيقان»

علّي أن أحمد الله وأشكر نفسي القديمة لاختيارها عدم ظهوري أمام الشاشات مهما حدث، ها نحنُ في قاعة المحكمة المستقرّة في منتصف باليرمو عاصمة صقليّة، جالسان في الصف الذي يتوسط القاعة بين المخرج ومنصة القاضي على جانبه مكتب المُدّعي العام وعلى الآخر يجلس يونيتا ومحاميه، وأسفل نظر القاضي تمامًا استكان الشخص المسؤول عن المحكمة، وضعنا بين الصحفيين والذين تربطهم أقل علاقة بطرف المُدعى عليه كان صاخبًا حتى أُعلن عن دخول القاضي بصوت مرتفع، أمالت داليدا رأسها مُقتربة من أذني لتهمس قائلة:

- أليس من الغريب كونهم لم يتعرفوا عليك؟ حتى مع ارتدائك لهذه النظارات السوداء.. يظل أبناء نوستارا مميزين.

- لم أكن غالب الشهرة أمام بقية أبناء عمومتي، أنا المنطوي المهووس بالكتب.

- يا لكَ من مُدلل!

أصدرتْ ضحكة تهكمية قصيرة ثم عادت لوضعها الأصلي، من تتحدث عن التميّز بالتأكيد لم تنظر لنفسها في المرآة قبل قدومها، عينيها العسليتان يعلوهما حاجبان قد ثقبت أيمنهما ووضعت به نوعًا من الزينة الصغيرة البرّاقة دائرية الشكل وحجابها الذي يقاسم ملابسها الواسعة حتى يُخيل لكَ أنها مسروقة من والدها مع بيادتها الضخمة التي لا تستغني عنها ولا يكتمل ذوقها إلا بها، وضعَتْ قدمًا فوق الأخرى ولفتت جميع الأنظار، تعرف الصحفيون عليها وأهملوني، هذا ما آثار حنقها تجاهي.

- في الساعة العاشرة والنصف صباح اليوم الحالي تبدأ المحاكمة الأولى ضد يونيتا كالابريا.

وقف الجميع احترامًا للقاضي عند دخوله وجلوسه بمكانه الثابت، طرق بمطرقته مرة ثم جهر قائلًا:

- ليتقدم المُدعي العام.

استقام شاب في أواخر عقده الثاني ثم رفع يده اليُمنى بجانب كتفه ومن هنا بدأ اللعب.

- أقدم كامل احترامي لهيئة القضاء وأقسم أمامكم ألا أقول سوى الحق وما يخدم دولتنا.

- فليُدلي الإدعاء العام بتُهمه.

أشار القاضي بيده أي تفضل وأبهرنا كيف ستوقع هذا الحقير - بالطبع هذه قراءة مخيلتي للموقف- .

- تُدينُ السيد يونيتا كالابريا بالإتجار الغير قانوني في المُخدِرات بالإضافة للاشتراك مع جاسوس كوري مطلوب دوليًا وأيضًا بتزوير المستندات وتلفيق تُهمة لشخص بريء.

- أدلتُكَ؟

عاد الشاب لمكتبه ثم التقط ملفًا أزرق اللون وشريحة تخزين مصغرة وضع الأول أمام القاضي والثاني بيد المسؤول عن شاشة العرض، ثم استرسلَ قائلًا:

- هنا وثيقة غير مهمة المحتوى حصلنا عليها بإذن من السيد يونيتا شخصيًا تحمل توقيعه وختم شركته ومعها المستند الأصلي لشحنة المخدرات التي تم الإعلان عنها في الصحافة سابقًا.

- كل هذا تم إثبات تزويره، أين المستجدات؟

- أمام سيادتكم سنعرضُ شريطًا مُصورًا للوقت الذي تم «سرقة» المستند ذاته من عامل شركة «سولو دي كومو» للنقل المحلي والدولي بعد دقائق من رحيل الحارس الشخصي للسيد يونيتا، ما يُثبتُ أنه لم يملك الوقت لتبديلهِ حتى.

أضاءت الشاشة لتتركز عليها العديد من الأعين، الفيديو الموجود لشخص غني عن التعريف يضربُ العامل الضعيف ويسحبه وراءه ليأخذ منه المستند، ثاني أفضل قرار اتخذته في حياتي بعد رفضي للظهور أمام الكاميرات هو أخذي للطائرة بدون طيار الصغيرة خاصتي وتركيب كاميرا مصغرة بها وجعلها تتبعني، عند انتهاء العرض انتفض محامي يونيتا صائحًا.

- اعتراض يا سيادة القاضي، هذا اعتداء صريح على العامل ومن المحتمل أن يكون قد تم تهديده.

نقل القاضي نظره بين الاثنين في هدوء ثم أجاب قائلًا:

- قبلتهُ، ما ردُّ المدعي العام؟

استدار السابق تجاه الباب خلفنا ثم بسط ذراعه وهو يجيب بروية:

- توقعتُ هذا، لذلك أطلب السماح بدخول أول وآخر شاهدٍ لدي اليوم.

أومأ القاضي للحارس فتم فتحُ الباب على مصراعيه ليلجَ نفسُ العامل الذي تسببتُ له بكل هذه المصائب، أتمنى من كل قلبي أن يسامحني، جلس في مقعد الشهود أمام القاضي مباشرة ليقترب منه المُدعي العام مُتسائلًا بعدما أقسم:

- هل رُبما تملكُ أدنى رغبة في القيام ببلاغ عن اعتداء قد حدث بعد اختفاء حارس السيد يونيتا؟

أجاب الثاني بهدوء تام:

- كلّا، لم يتم الاعتداء عليّ في الأساس؛ كانت مجرد ضربة على العنق جعلتني خائر القوى وعُدتُ لحالتي الطبيعية بعدها بدقائق، ولم يقع عليّ أي ضرر جسدي أو نفسي، ولم يتم تهديدي حيث أنه حينما عاد وعيي كان ذاك الشخص قد تبخر بالفعل.

- اعتراض يا سيادة القاضي!

- ما الأمر هذه المرة؟

- أرجو أن تدع لي المجال في استجوابه.

- لكَ ذلك.

ترك محامي المُدعى عليه مجلسه ليأخذ مكان المُدعي العام ثم بدأ بتوجيه سؤال سخيف:

- أريدكَ أن تشعر بالأمان التام، متأكد أنه لم يتم تهديدك للإدلاء بهذه الشهادة في السجن؟

- اعتراض يا سيادة القاضي!

- كلّا، ليستكمل الدفاع استجوابه.

نظر العامل للمُدعي العام الذي رُفض اعتراضه ثم إلى الأصفاد التي تحيط يديه بسبب ظُلمه زورًا ثم عاد وفجّر المحكمة حرفيًا.

- إن كنتُ تحت التهديد بالفعل، ألن أخاف من تهديد صاحب شركة كالابريا أو كيم يو تشا إن خرجتُ حُرًا بعد هذه الكلمات؟ فجميعهم رجال عصابات في النهاية، أم أنهما ملاكان بأربعة أجنحة غير مرئيين؟

كان هذا خارج نطاق الحُسبان ولكنه أثار إعجابي، أشرتُ لداليدا ثم نظرتُ للمُدّعي العام وحدثته بشفتيّ فقط دون صوت خلال اعتراض محامي يونيتا

بسبب الإهانة بينما يتميز السابق في مقعده من الغضب ناطقًا:

«شكرًا لك، إيمانويل»

ابتسم في المقابل وأومأ برأسه في تحية، استدرتُ مُتجهًا للخارج عندما علمتُ بالفعل نتيجة هذه الجولة إذ أن هاتفي لم يتوقف عن استقبال الإشعارات، لم تكن هذه المحكمة بغرض عقاب يونيتا على الملأ بل لضربه في مقتل، ولاستمتاعي برؤية أسهم شركته تعانق أرض البورصة العالمية والمحلية، كي يتعلم ألا ينظر أسفل قدميه حتى وإن خرج منها كالشعرة من العجين ككل مرة، لا أهتم.

جلستُ داخل سيارتها ذات الزجاج المانع للرؤية من الخارج ثم خلعتُ نظارتي وسترتي بأريحية، أدار صاموئيل الذي انتبهتُ أنه كظلها حرفيًا المحرك وهمَّ بالرحيل من أمام المحكمة، بينما شعرتُ بعينين تحدقان بجانبي الأيمن استدرتُ على إثرهما.

- ماذا؟

كانت تتكئ بذراعها الأيسر على رُكبتها وتضع باطن يدها أمام فمها فآتاني صوتها مكتومًا بعض الشيء.

- أولًا: تركت قاعة المحكمة تحترق علميًا حتى وإن لم يتم معاقبته بالقانون، ثانيًا: لا انتظر..

أخرجت هاتفها وعبثت به قبل أن تضعه أمام وجهي يظهر على شاشته سهم أرباح شركة ذاك الأرعن يتهاوى.

- كلُّ هذا وما زلت مُتخفيًا، كيف فعلتها من الأساس؟

- القاضي يعرفني بالفعل ولكنني قدمتُ مع إيمانويل - المُدّعي العام- تعهدًا باسمي إذ أنني أريد حماية نفسي من عاقبة البلاغ ولكن تحقيق العدالة أهم.

- آه أجل أجل بالطبع تحقيق العدالة أهم، ده عند الست الوالدة.

غالبًا ما تضع كلمات مصريّة بين حديثها يكون لدي شعور لا يُحتمل بأنها إهانة ما، تجاهلتها وأردفتُ قائلًا:

- مع أن يونيتا قد اكتشف هويتي أيضًا.

تغيّر انطباعها من اللامبالاة والملل إلى الفضول مع حاجبين منعقدين، أخرجتُ بطاقة من مجموعة التاروت من جيبي في صمت، على إثرها استغرقت أقل من دقيقة ثم اتسعت عينيها لتنفجر في الضحك والتصفيق بيديها وضرب قدمها وفي المنتصف عادتها بنطق كلمات أجهلها، بطاقة تماثل التي يقبض

عليها يونيتا بيده وأسنانه الآن.. أتركها داخل كل ملف ويعلمني حق العلم ولا يستطيع وضع إصبعٍ عليّ.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الرابع عشر
«داليدا»

- إن تم قتلي هُنا سأطاردكُ مباشرة إلى الجحيم، إيڤان بيه نوستارا باشا.

كان ظهرانا يقابلان بعضيهما بينما تنظر أعيُننا وأسلحتُنا باتجاهات معاكسة، جاءت سُخريته غير مناسبة للوضع - وكأن خاصتي ستقتلنا من فرط الجديُّة مثلًا- .

- لفترة حاولتُ تعلم بعض الكلمات العربية والمصرية بالتحديد، لا تتخيلين قدر سعادتي بمعرفة أنكِ لا تسُبّينني حاليًا.

- هذا لم يعد ممتعًا.

- من الأفضل لكِ إيجاد لُعبة جديدة إن خرجنا من هنا أحياء.

- أنت مدلل مقيت!

- سأحتفظ بها كمجاملة.

لا أستوعبُ أن جميع المسدسات والبندقيات التي تضع هدفها علينا قد تركتنا نتفوه بالهراء لدقائق كاملة، ذكرتني ببعض الأفلام القديمة، ولكن لحظة لحظة دعنا نعد لما قبل بضع ساعات من الآن، كيف أنني وصلتُ هنا في الأصل.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

رائحة الكُتب مميزة ولكن للأسف لا أقدر على استنشاقها، حالما دخلنا المكتبة المهولة نزعتُ القناع الأسود ونظارة الشمس مع السترة ذات غطاء الرأس ثم ألقيتهم فوق أقرب وسادة، قبل أن أشرع في التذمر.

- أنت! أتستقبلُ ضيفًا أم تُهربُ سجائر كمراهق في الثانوية؟

- لم أعهد ضيوفًا يأمرون باستقبالهم في بيوت الآخرين رُغمًا عنهم.

شكلتُ بسبابتي دائرة في الهواء مُشيرة إلى ما يحيطُنا من جميع الاتجاهات.

- هذا بيتُكَ؟ لم تكن تمزح لثانية عندما قُلت أنك دودة كُتب.

استدرتُ رغبة في استكشاف أنواع الكُتب عن قرب عندما سمعتُ هسيسًا بجانب أذني مباشرة.

- لم أقل لا أنني دودة كُتب ولا أن هذا بيتي، ولا أمانع استقبالكِ في غرفتي الشخصية مع ذلك.. أظن أنكِ لستِ مرتاحة هنا؟

بمجرد أن لمحتُ بطرف عيني كفّ يده توضع بجانبي على رف المكتبة أعدتُ أنظاري إليه مع شعوري بالاحتراق المفاجئ في وجهي، جلّ ما خطر ببالي هو «يارب يارب ما يشوفني وأنا لوني أحمر، للمرة المليون وواحد أنا بكره بشرتي البيضا»، بينما كان يحمل نصف ابتسامة تثير الاستفزاز ويضع يده الأخرى داخل جيبه آثرتُ تغطية كل هذا بالصياح في ذات الوقت الذي حجب فيه ضوء العالم عنّي بجسده.

- أأنت، بحق الله ما الذي تفعله وما الهراء الذي ينطقه فمكَ دون مروره على عقلك؟ ابتعد عنّي فورًا!

سحب كتابًا اختطفتُ اسمه بنظري قبل أن يستدير وتتسع ابتسامته خلال حديثه.

- حاضر حاضر يا آنستي، أرجوكِ رَوّحِي عن نفسكِ قليلًا، كنتُ فقط أحضر الكتاب الذي وقفتي أمامه بالصدفة، أم أن هناك أفكارًا أخرى بعقلكِ؟

ازدادت حرارتي، يا إلهي ازدادت حرارتي أكثر.

- بـ بالطبع لا، ما الذي ستفعله بـ ماذا كان يُسمى؟ «التاروت.. معناه وأسرارهُ وتعلّمه»؟ ألا تستخدمه بالفعل؟

كان أمامه على الطاولة المستطيلة بطاقتان ظاهرتان بالفعل - ليس وكأنني أؤمن بها وهو بدوره لا يقرأ بها المستقبل!- توقف إصبعه عن التقليب بين الصفحات عند شرح أسماء البطاقتين.

- فقط نسيتُ معنى هاتين.

سكنَ لوهلة قصيرة ثم عاد يسترسل وكأنه يحادثُ نفسه بصوتٍ مرتفع.

- أريدُ قراءتها هذه المرة من وجهة نظر الرئيس لا خاصتي ولم أعتد قراءة طالع أحد لذا..

العدالة والكاهنة العُليا مقلوبتان، الأولى تعني الكذب وسوء المعاملة، والثانية تُشير للوحدة والانعزال، يا للصدفة، الكاهنة العُليا تصف وضعه بالضبط قُبيل مقتله والعدالة أظن أنها ما يندم عليه.

لم أُرد الاستفسار عن ندم جدّه وبدلًا من ذلك تساءلتُ عن شيء مختلف:

- لِم تناديه بالـ «الرئيس» بينما تحدث عنه نُظراؤكَ بطبيعية في مُقابلاتهم بعد وفاته؟

وكأنه ينتقي كلماته انتظر لثوانٍ ثم بدأ بالإجابة قبل أن..

- لم يكن يعتبرُني حفيده من الأساس..

- أين ابن العاهرة ذاك؟ يخرج في الصباح الباكر ويعود بعد انتصاف الليل، أيظنُ مالي مُباحًا لينفقه هنا وهناك باستهتار!

استدار إيڤان من فورهِ ووقف أمامي يحجب عنّي الرؤية ولكن فات الأوان، قد تعرّفتُ بالفعل على صاحب الشعر البُنّي والعيون المماثلة، ذلك ما يميز عائلة نوستارا الأصلية عبر العصور دونًا عن إيڤان وعمّه ألبيرتينو، هذا البذيء يكون والده.. هو يحميني من والده.

- ها أنت ذا أيها الحقير، أين كنـ.. من هذه؟

أمال نصف جسده ليبصرني من وراء الجدار الشاهق الذي أمامي، خرجتُ من ظلّه لأضع يدي بيد بيتر نوستارا ولكن سبقني ولده وصافحه بنفسه بينما يسحبني خلفه باليد الحرّة.

- إنها صديقتي من الجامعة، أراكَ لاحقًا.

- انتظر يا إيڤان! ألن تعرفنا ببعضنا على الأقل؟ لشُرب بعض القهوة؟

- لا تُحبها.

لا أدري إن كنتُ أهولُ الأمر ولكن شعرتُ أنه قد تبدل، نبرة صوت أرق واحترام في طريقة التعامل، كان انفصامًا واضحًا!

- يغير شخصياته دائمًا؟

سألته بينما استمر في سحبي خلفه كالبهيمة باتجاه مذبحها، أقصد السيارة.

- أيُ شخصيات؟ هو لا يمتلك سوى واحدة لطيفة أمام الغرباء وحقيرة لعينة معي.

آثرتُ الصمت بعدما أخبر صاموئيل بإيصالنا إلى أول مكان تقابلنا فيه بعد تخطيط معقول، ولكن يبدو أنها كانت فكرة سيئة فبمجرد اختفاء سام والسيارة بعد رحيله التقطت آذانُنا صوتًا خافتًا اتضح أنه لمُهاجمين مختلفين.

- احترس!

- لا تُخفضي دفاعكِ!

انتهى بنا الأمر بالصياح في ذات الوقت مما أسفر عن انحنائي وتصويبي للمُلثم الذي يستهدفه من جانبه الأيمن واختياره لإطلاق النار على قناص كان سيصيبُني من يساري، تجمهروا بطريقة مريبة حولنا في دائرة غير مكتملة، اخترنا التمثيل بعدم رؤية الثغرة حتى بدأوا يستخفون بنا لعددنا القليل - جدًا..

القليل جدًا جدًا- ، ابتعد كلٌ منّا عن ظهر الآخر ثم تقابلت أعيُننا للحظة ثم أومأ كلُ منّا للآخر ثم بدأنا الركض في مسافة صغيرة بالكاد تسعنا بين مبنيين سكنيين، لم نكن أغبياء لدرجة تناسي المثل الشهير «الكثرة تغلب الشجاعة»، عند نقطة معينة أوقفني اثنان من أمامي وشعرتُ بظهري فارغًا، اقترب واحدٌ منهما يهرول ويعلو بقبضته بمستوى وجهي، وكردّ فعلٍ طبيعيّ انبطحتُ بنصفي الأعلى ورفعتُ رِجلي اليُمنى حتى أستطيع الاستدارة وضربه بها في وجهه تمامًا، بعدما طار تَلكأ صاحبه مما أعطاني الفرصة لسحب زناد سلاحي وإطلاق أربع رصاصات لأطرافه الأربعة، ثم عاجلتُ السابق باثنتين في قدميه حتى لا يستطيع الركض مجددًا.

- أتساءل إن كان على ما يُرام..

عُدتُ أدراجي ركضًا لدقيقتين قُبيل توقفي بسبب هول الصدمة، وقف إيقان بين العديد من الجثث، حرفيًا كانوا جثًا فقد أزهق حياتهم أجمعين، التفت ينظر إلي وجعله ضوء القمرِ مُرعبًا عكس طبيعته، قفز من فوقهم ثم بدأ يمسح الدماء من على جلد وجهه ووضع سلاحه أسفل حزام سرواله ببساطة، والأدهى أنه تحدث ببساطة أكبر!

- لنجد فُندقًا قريبًا؛ فأنا أكرهُ رائحة الدماء ومن المستحيل لي العودة لعمّي هكذا، سأصير مثلهم قبل طلوع فجرٍ جديد.

أشار بإبهامه إلى الجثث خلفه، ابتلعتُ ما تبقى من لُعابي لأرد عليه بوضوح وابتسامة ليست في محلّها.

- أسحبُ نعتي لك بالمدلل، لم يعُد منطقيًا.

حك رأسه بيده النظيفة - حمدًا لله أن هناك يدًا نظيفة من الأساس- ثم نزَع نظارته المُلطخة وابتسم بتكلُف وهو يميل برأسه لليمين قليلًا.

- لا تبتسم، أنت مُقرف!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الخامس عشر
«إيقان»

مُرتديًا بذلة سوداء باهظة الثمن رُغمًا عن إرادتي وقفتُ في الطابق الثاني لمنزل ستيدا نوبّالي بيدي كأس مياهٍ غازية أحيّي به إيمانويل المُدّعي العام الذي ساعدني وسيساعدني مستقبلًا، استدرتُ لأتكئ بخصري على حافة السور القريب منّي مع رغبة عارمة لرفع يدي وتخريب تسريحة شعري المُنمقة إذ أنها تثير استفزازي حتى قبل وصولي، حفلة طبيعية معتادة يستضيفها شخصٌ مختلف كل مرّة ويتم إجباري على الحضور بالطبع، مع أن حدسي يخبرني أن اليوم سيكون مُختلفًا قليلًا، أعدتُ نظري للحشد الذي تلمع أغلبُ ثيابهم بالأسفل وما لفت انتباهي هو دخول مُحجبة للقاعة بتباهٍ تصافح هذا وذاك وتَقُمن بتقبيلها على وجنتيها العديد من النساء حتى مع الوجه البارد التي لطالما ترتديه، اشتدت قبضتي فوق الكأس وكادت تهشّمهُ عندما توقف أمامها أبي يُحدثها، تجاوبت معه داليدا ببساطة حتى أنها ضحكت مرتين!

- اللعنة، ما الهراء الذي يبثّهُ بعقلها الآن؟

إلى أن بدأت تستديرُ حولها وكأنها تبحثُ عن شيءٍ ما، رفعت عينيها عاليًا وفعلت يدي اليُمنى المثل، عند مُلاحظتها لي تحركت تجاه السُلم بصمت، هنا استولى الانبهار على وجهي.. اقتربت ينساب حلو جسدها ثوب واسع الأكمام والنصف السُفلي - بالطبع لونه أسود كحجابها- لم يكن منفوشًا ولا ملتصقًا بها، متوسط بانحناءات رائعة في قصّتهِ وبه بعضُ الخرز الأبيض اللامع، ارتدت الكعب العالي كاختلاف لليوم، يتناسب كُل هذا مع بشرتها البيضاء كصفحة ناصعة والحُلي الرقيقة حول حاجبها الأيمن، فقط مدهشة.

- أرأيتَ جنيًّا؟

مع لسانها السليط هذا لا توجد فرصة ولا واحدٍ بالمائة أن أخبرها ما يجول بعقلي الآن.

- ما الذي حدثكِ به أبي؟

سحبت الكأس الذي لم يُمس - الكارثة أنها بالطبع لا تعلم أنه لم يُمس ومع ذلك- من يدي وشَرِبَت القليل قبل أن تجيبني قائلة:

- بعض الكلام الذي لا معنى له هنا وهناك وأيضًا سألني عن عائلتي وخلفيتي، تماشيتُ مع كذبكَ حيال علاقتنا لا تقلق، ولكن لِم الكذب من الأساس؟

عقدتُ ذراعيّ فوق صدري ثم تنهدتُ لعدة ثوانٍ ثم أردفتُ:

- إن لم أكذب في أغلب ما أقوله له لن أنجو في علاقة دامت أكثر من ثلاثين عامًا، هكذا الحال لفترة طويلة.

- ما علاقته بالوغد يونيتا؟

- يُحبه لدرجة غبية ولطالما اقترح على الرئيس تحسين علاقتهما.

- غير هذا، ما الذي يفعله معه الآن وحالًا؟

التفتُ لها فوجدتها تنظر للطابق الأرضي وتعقد حاجبيها، وقعت نظراتي على أبي وعمتي وعمّي يحادثون يونيتا بجديّة مهولة، انتابني شعور أن عمّي ألبيرت يعلم أنني أراقبه إذ أنه ظل يلوح بيده تجاه الباب ولكن كالأحمق لبثتُ أنتظر حتى رفع أبي عينيه تجاهي بداخلها غضبٌ مستعرّ يماثل ما تحمله عمّتي إيزابيلا، استدار يونيتا ثم غمز ورفع إصبعي السبابة والوسطى مع إغلاق الباقي ليحييني بهما، أمسكتُ بيدِ داليدا وتكلمتُ خلال سحبي لها وتحركُ أبي وعمّتي نحونا:

- أعتذر صدقًا، ولكن علينا الركضُ للهرب.

- أتمازحني!

بالرغم من تذمرها شرعت في الركض بجانبي، سرعتها تباطأت بسبب حذائها ذو الكعب العالي ولكن وصلنا لممر فارغ يتصل بباب خلفي للخروج من القاعة.

- اخرجي الآن، سأتحقق من الوضع ثم أتبعكِ.

كانت تعلم تمام العلم أنها ستؤخرني دون طائل لذلك أومأت مرتين ثم استدارت تجاه الباب، اختفيتُ لدقيقتين رأيتُ أبي وعمّتي يبحثان عنّي دون كلل، أُعيد إحيائي لهذه الحقيقة فقررتُ العودة لداليدا التي وجدتُها تصوب مسدسًا الله وحده يعلم من أين أتت به تجاه رجلٍ أمامها وتدوس بكعبها على صدر آخر أسفل قدمها.

- ماذا حدث؟

استغلّ الذي أسفل قدمها استدارتها لي وحاول سحبها أملًا في أن تسقط ولكن أحبطت مخططاته عندما ركلته بمشط ذات القدم في أنفه وبين رجليه ليتلوى من الألم مع هروب صاحبه، ثم عادت لتقف أمامي، تحدثت خلال نزعها لحزام ثوبها الذي ترك مسافة بسيطة بينه وبين بنطالها تحته فوضعت داخل جيبه السلاح ونظرت إليّ.

- أظنُ أنهما يتبعان يونيتا، حاولا إيقافي.

- أرى أنكِ قدمتِ مستعدة فلم تواجهكِ أي عقبة.

- لا تستهن بالنساء عزيزي، ليس لسبب محدد بل هم لا يفتشوننا عند البوابة الرئيسية، أحيانًا تُعجبني هاتهِ التفرقة.

أشارت بإبهامها نحو البوابة لتؤكد على سخريتها مما جعلني أبتسم، تلك الابتسامة التي بُهتت حالما سمعتُ صياحًا أتى من خلفي.

- ها هو الوغد المهووس، لِمَ لا تتحكم بولدكَ جيدًا يا بيتر، انظر ما الذي فعله وسيفعله بنا!

استدرتُ لأتقدم قليلًا تاركًا داليدا خلفي بخطوتين أو ثلاثة، عدّلتُ وضع نظارتي وعبثتُ بشعري حتى عاد كما كان، لا هروب من هذا..

- على الرُحب والسعة يا عمّتي العزيزة، قومي بزيارتنا كل يوم.

- اخرس!

مرر أبي كفّه فوق وجهه ذهابًا وإيابًا ثم أردف بعدما استقرّت ذراعيه فوق خصره.

- يُستحسنُ لك إعادة المستندات والعقود التي سرقتها من حاسوب جدك سريعًا يا إيقان وإلا..

- وإلا..؟

- لن تجني خيرًا.

صدرت ضحكة ساخرة قصيرة من وراء ظهري جعلتني أبتسم مجددًا، أصبحت تفهم ما يجري إذ أنني أفصحتُ عن خطتي بوجودها أمام عمّي ألبيرت قبل قدومنا إلى هنا بثلاثة أيام.

- واثقٌ أن الخسران هنا من نصيبكم، لم يكن لي شأنٌ بأعمال العائلة لأتضرر حينما تسقط في الوحل.

صرخت عمّتي بوجهي وهي تفور غضبًا.

- إذًا اتركها لحالها أيها الأرعن، عاديتَ يونيتا كالابريا والآن تريد تدمير عائلتك من الداخل!

- لم تكونوا يومًا عائلتي، ولطالما رفضتُ أساليبكم.

- صحيح بالتأكيد فأنت حقير ناكر للمعروف مثلك مثل أمك.

أظلمت الرؤية أمام عينيّ وتقدمتُ لأحصل على رقبتها بين أصابعي ولكن توقفتُ عندما سحبتني قوة معقولة من ظهر بذلتي.

- حذرتُكِ سابقًا بما ستجابهينه إن ذكرتِ والدتي بسوء.

هذه المرة بادر أبي بالحديث، ما زال هادئًا ليُحافظ على صورته.

- ستقف بوجهنا جميعًا يا إيڤان!

- فعلتُ ذلك بالفعل.

- لن تعود عليك داليدا ندرانغيتا مدللة أبيها بأي نفع.

كان دوري هذه المرة في إيقافها من التقدم وإظهار عُنفها الجسدي والخُلقي بالعامية المصرية التي تربت عليها، أعدتُها لمكانها بذراعٍ واحدة قبل أن أهمَّ بالرد:

- فعَلَت عكس ذلك بالفعل.

- من السيء يا أخي بيتر أن تسارع بالظن أن إيڤان سيكون بمفرده - دون الحديث عن رفيقته الجديدة- .

قاطعنا عمّي الأصغر بكلماته وعبوره من بين أخوتهِ وصولًا إلى جانبي، وفي مفاجأة تبعه أولاده الثلاثة حتى وقف فيليب على يمينه بينما اختار ماركو وكاتيلينا الوقوف على يسار داليدا بعد أن تقدمت هي الأخرى.

- ألبيرتينو! تعال هنا بجانب أختك.

- أنصت إلى بيلا يا ألبيرت.

وضع عمّي الأصغر يديه داخل جيبيه وأردف بأريحية قائلًا:

- أعتذرُ حقـ.، أو لا، لا أعتذر عن شيء فحتى أبي كان على علمٍ برفضي لقدر شخصٍ ينتمي لأعتى عصابات المافيا، الآن اخترتُ دعم ابن أخي دونًا عن أخوتي.

لنستمتع بمشاهدة لا لونا روسّا معًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السادس عشر
«داليدا»

حُددت الجلسة الثانية اليوم لمحاكمة يونيتا والرئيس الحالي لمجموعة شركات نوستارا بعد شهر ونصف من ليلة الحفلة، إذ أن ابن عائلة كالابريا اختفى ولم يبهرنا بطلته في الجلسة الأولى فتم تأجيلها بدلًا من الحُكم غيابيًا منذ أسبوعين، داخل ذات القاعة السابقة كاد مُحاميان «موقّران» أن يجذبا إيمانويل من شعره جَراء الغيظ، كلّما جاءا بتبرير منطقي لنفي تُهمة تهريب الأعضاء البشرية والمخدرات من وإلى كوريا الجنوبية وتوزيعها حول الوسط الأوروبي قام بدحضه وجعلهما يظهران بمهرجين أمام موكليهما والجمهور، هنا قرر القاضي التدخل أخيرًا.

- بيّن المُدّعي العام مستندات أثبتت التعاقد بين نوستارا وكالابريا وتم إرفاق صور للمعنيّين بالتُهمة مُتلبسين، أنى لكما إنكار ذلك؟

طلب والدُ إيڤان الحديث فقوبل بالموافقة.

- مع كامل احترامي لسيادة القاضي والجَمعُ الكريم، هذا صحيح بالفعل ولكنه كان بيد أبي باسكال نوستارا، لِم نُحاكم نحنُ عليه بالتحديد؟

- اعتراض يا سيادة القاضي، يحاول التملُص من التُهم.

انحنى القاضي الطاعن في السن للأمام قليلًا باتجاه مُحامي يونيتا الذي أُشهد الله أنه لم يدرس في تخصص الحقوق سوى كلمة «أعترض».

- الآن اعترفت أنها تُهمة واقعة ليحاول الهرب منها؟

بُهت السابق وعاد للوراء بظهره فانفجرت القاعة بسبب الضحك، نظرتُ لإيڤان بجانبي فوجدته يحمل شبح ابتسامة وينقر بأصابعه على هاتفه المحمول بتركيز تام، خلال الخمس وأربعين يومًا المنصرمين لم نترك يومًا لم نجتمع به، شهدتُ بأم عينيّ على الجهد الذي بذله حتى يحصل على صور باسكال ويونيتا وما تحمّله من ألم بالرأس سببه والده عندما اكتشف أنه من سيحضر المحاكمة، وكان هذا كمًا قال بلسانه « ضررًا لسُمعته ومظهره الاجتماعي» بعدما تخلّت عنه أخته الكُبرى إيزابيلا، أكل اللون الأسود الكثير من الجلد تحت عينيه وصار أنحف مما رأيته أول مرة منذ عدّة أشهر، حوّلتُ نظري عنه لأنتبه للاستراحة التي سمح بها القاضي وتركيزُ إيمانويل بهاتفه يلتهم حروف لوحة الكتابة هو الآخر، عندما برر الجالس بجانبي معرفته به قال أنه كان صديقًا خلال فترة الجامعة وافترقا بسبب التخصصات المختلفة، نجح ولم يعقهُ ذلك في تولّي أمر قضايا المافيا المرهقة، في الفترة السابقة قابلتُ

أربعة أشخاص من طرف إيڤان عرفتُ بعدها أنهم جواسيسه داخل أوكار شركتي يونيتا والفرع الرئيسي لنوستارا تحت حُكم إيزابيلا، لم يكُن الأمرُ هينًا عليه حتى عندما أخرج البطاقات المتبقية من التاروت بحوزتهِ واختار اثنتين كما هي العادة.

«الهيروفانت معكوسة والقوة مستقيمة»

حينما تساءلتُ عن معنيهما خلال أخذي لرشفة من الشاي وهو من مخفوق الشوكولاتة المُثلج أجابني مباشرة:

«الهيروفانت ترمز في الوضع الطبيعي الالتزام بالتقاليد والطرق القديمة في إنجاز الأمور، أما وهي معكوسة تعني الحرية وعدم الالتزام بالتقاليد، أما بطاقة القوة فترمز للشجاعة والمثابرة لتحقيق الهدف، أما في وضعها المستقيم تعني الصحة الجيدة والشجاعة والطموح والقوة بالطبع»

- إذًا ستلتزم بتقاليد عائلتك ولكن مع وضع لمستكَ الخاصة بحرية، مع رشّة من القوة والشجاعة والطموح وبلا بلا بلا من هذا القبيل.

وضع مخفوق الشوكولاتة على الطاولة ورمقني بذهول.

«أأصبحتُ كتابًا مفتوحًا؟»

أخذتُ رشفة أخرى من الشاي لأستمتع بها ثم نظرتُ له بابتسامة.

- لا يمكنك التشكيك في قدرتي على قراءة شخصٍ أراه كل يوم! هتطلعلي من تحت حوض المطبخ المرة الجاية.

«ما كان ذلك؟»

- لا تهتم.

مثلتُ تركيزي مع الشاي أملًا في الهروب من نظراته اللاسعة.

وها هنا نحن الآن تتسع شفاهُنا بسبب ما التقطتهُ آذانُنا قبل ثانيتين وبعد مرور ثلاث ساعات عبارة عن مناوشات من الهراء.

- حكمت المحكمة بالتحفُّظ على شركة كالابريا للحديد والصُلب بالإضافة إلى نصف مُمتلكاته الشخصية، وبالنسبة لأحفاد عائلة نوستارا سيتم دفع التعويضات المُقررة والتحفظ أيضًا على ممتلكات بيتر نوستارا بعدما تم إمساكه بالجُرم المشهود، وقررت المحكمة إبقاء كل أطراف القضية تحت المراقبة والتدابير الاحترازية حتى يتم إثبات براءة تصرفاتهم الحرّة، هذا وإما السجن.

نقر بمطرقته ثلاث مرّات ثم بدأ الصحفيون يتسربون للخارج خلف بيتر الصارخ وانهيار إيزابيلا الواضح بينما ظلّ يونيتا هادئًا بدرجة مريبة، كنّا نعلم تمام العلم أنه لن يتم حبسهم أو إعدامهم كأي مُجرم جنائي طبيعي، أشخاص على شاكلتهم يتوغلون تحت كل شبر في إيطاليا وحتى خارجها لن يكون من السهل رد الصاع صاعين من أول مرة، لذلك هذه هي البداية فقط، لم يتحرك إيڤان من جلسته ولم أفعل بدوري حتى ارتطمت قبضتا يدينا ببعضهما البعض احتفالًا بنجاحنا الثاني.

- يا تُرى من سيشتعل الآن، هم.. أم نحن؟

تركتُ سؤاله مُعلقًا بلا جواب، فلم أعلم أبدًا أنها كانت البداية أجل ولكن لنا أيضًا..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بالكاد استطعنا المرور كالكرام هربًا من الصحافة المتجمهرة أمام المحكمة مباشرة، يعتريني شعور عارم بالرغبة في تقبيل عقل إيڤان لاختياره إبقاء هويته مجهولة فلا أدري كيف كنتُ سأتعامل مع هذا الألم في الرأس دون إطلاق النار برأس أحدهم، بعد أسبوع من ذاك الصباح نفذنا اتفاقنا بالمقابلة في مقهى قريب من مكاننا السابق لمناقشة خطواتنا التالية، كان من المفترض أن يُعقد اجتماعُنا الضيق في وقت أقرب من هذا ولكن أصبح الوضع فوضويًا مؤخرًا، انقطع لجام يونيتا فبات يقتل كمن يقول صباحُ الخير كل ثلاث دقائق، وكنتيجة لهذا رفض أبي خروجي من المنزل رفضًا قاطعًا «لا عودة فيه»، وبالطبع..

- يبل كلامه ويشرب مايته.

بصقتُها في حنق قبل أن أشرب نصف مقدار الشاي الذي في الكوب مرةً واحدة، استكان إيڤان أمامي يحدقُ في الأمواج العاتية من خلال النافذة الزجاجية، أستطيع تخمين الهرج والمرج الذي يحاول التعايش معه حاليًا؛ إذ أنني شهدتُ من الخفاء على مُشادة كلامية بينه وبين والده بعد المحاكمة أو سيصح القول بأن والده كان الوحيد الذي يملك فُرصة الحديث، حينها استمعتُ للكثير من الإهانة والسِباب موجهة لإيڤان بطريقة لا يتحملها أحد وخصوصًا إن صدرت من فاه والده الوحيد، لم أعقلهم ولا أصدقهم فحتى مع معرفتي القصيرة به أقدر على القول بأن بيتر كان يتخيل شخصًا آخر ليستكمل القذارة التي ينطقها بلسانه، لم يكن هذا إيڤان التي حدثتني عنه كاتيلينا ابنة عمّه بشغف ومحبة عندما قابلتُها صدفة في حديقة مكتبتهم وغمرتها السعادة لمعرفة أن قريبها يقضي وقته مع شخص طبيعي وليس مع شبحٍ سيجعله ينتحر في النهاية، مع أنني أظنُ أنها لو عرفتني جيدًا لما قالت

هاته الكلمات، عُدتُ للواقع عندما توقف بجانبي صاموئيل وانحني يهمسُ بأذني ثم ترك مظروفًا منتفخًا قليلًا ورحل.

- هذا يخصكَ.

أخذته من أمامي ووضعته بيده، كنتُ هادئة إلى أن لاحظتُ النقاط الحمراء التي لطخت الغلاف الأبيض فانتفضتُ واعتدلتُ في جلستي، عقد إيڤان حاجبيه وهو يميل بظهره نحو الطاولة ويتلاعب بأصابعه محاولًا فتحه برفق قبل أن يفقد صبره ويمزقه، سقط على مرأى من أعيننا مجموعة من خُصلات شعر بُني ناعم وأذن.. أذن بشرية ما تزال تقطر دمًا دافئًا، ارتجف للحظة وهو يمسك بورقة مُرفقة معهما ويقرأها بعينيه، انتظرته فلم يبادر لذا سحبتُها من يده مثل أول مرة تقابلنا بها، بخطٍ مُنمق كُتب الآتي:

«لكي لا تُفكر في وضع قدمٍ داخل قاعة محكمة مرة أخرى»

«إ. ن»

لم أفهم الغرض منها ولكنني توقعتُ مرسلها، قاطعني صوته خافتًا مُرعبًا.. أسمعه لأول مرة.

- هذا إيمانويل، إيمانويل نيرون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل السابع عشر
«إيقان»

بين ثانية والأخرى كنّا بالفعلِ على متن درّاجتي البخارية تلتهم الطريق أسفلها متجهة نحو العنوان الذي كُتب في ظهر الرسالة، أنا وداليدا نعلم عواقب تهورنا وهرعنا لهناك دون دعمٍ أو تخطيط ولكن لا أقوى على خسارة شخصٍ بسبب قراراتي، بالتحديد وإنٍ لم يكن له علاقة كبيرة بحياتي الشخصيةً كإيمانويل، لم يكن له ذنب، لم يقترف أي خطأ..

- إيقان فلتهدأ!

صاحت بجانب أذني من الخلف فانتبهتُ لضغطي المتزايد على زر الوقود، خففتُ منه رويدًا بيدي وبالأخرى نزعتُ خوذتي عن رأسي حتى تطاير شعري عاليًا وتركتُ الهواء البارد يلسع صفحة وجهي علّي أُفيق، شددت داليدا إحكام ذراعيها على خصري لتتشبث جيدًا وسمعتها تُتمتم بتذمر بالمصرية كعادتها السيئة دائمًا.

- أهو الواحد دلوقتي نفسه يبقى في كوكب زمردة والزهرة، أو ياريتني كنت ولد، هتمرمط أه بس هعرف أبسط نفسي وأفك شعري كدا في وش الهوا، أبسط أحلامي.

- بحق الله يا داليدا، ما الذي يشغل عقلكِ هذه المرة؟

- تشتيتُك.

كدتُ أضحكُ قبل أن تتحول لعبوس إثر صرامتها المُفاجئة.

- عن ماذا؟

شعرتُ بالكهرباء تسري في ذراعيها قُبيل إجابتها..

- لا أقول أنني أعلم كيف تشعر حيال ما يدور في مُخيلتكَ عن وضع صديقك الحالي ولكن..، ولكن إن تركت مشاعرك تتداخل مع أفكارك لن تعود اليوم إلا محمولًا على خشبة فوق أذرع أشخاصٍ لا ذنب لهم بفقدانك أيضًا، لذا أرغب في تشتيت عقلك، العشوائية تفيدُ أحيانًا.

- لم أقم بتجربتها أبدًا.

- إذًا لنجعل اليوم محاولتك الأولى، لن تفكر نهائيًا فيما سنفعله حتى نصل ونقيم الوضع بأعيننا.

ابتسمتُ ابتسامة لم تصل لشفتيّ، ثم أومأتُ برأسي صامتًا وظل الحال كما هو عليه حتى وصلنا لنقطة معينة خارج تاورمينا وبالقرب من شاطئ يطل على البحر الأيّوني المتفرع من البحر المتوسط، تحاوطنا الرمال من ثلاث جهات دون أي ظلٍ لأي إنسان، لفت انتباه كلانا جدار متوسط الارتفاع والسُمك، يكاد يصلُ للستة أمتار عاليًا والضعفُ عرضًا، عندما اقتربنا منه والتففنا حوله شعرتُ بمعدتي تصلُ حَلقي لترمي نفسها خارجًا، وهنا أتحدثُ عن نفسي فلا أقوى على نزع عينيّ والاطمئنان على داليدا فهكذا مشهد لن تستطيع تركه إلا وأنت تتقيأ ولا ترى سوى حواف مقعد المرحاض.

- هذه جُثث.. أليس كذلك؟ أرجوكَ أخبرني أنهما ليسا على قيد الحياة، يُستحسن ألا يكونا.

كانوا أربعة مُعلقين، اثنان من أذرعهم واثنان من رقابهم؛ فالزوج الأول لا يملك عُنقًا على كتفيه والآخران ليس لديهم أذرع، قد تم تشريحهم.. حرفيًا، الأربعة قد شُقت بطونهم وأمست فارغة أمام الهواء، واحدٌ ما زال مُحتفظًا بقدميه والثاني يملك واحدة ومنهم من فقد الاثنين من أولهما لنهاية أصغر إصبعٍ لديه والرابع لم تنفصل رُكبتيه عن باقي جسده، ناهيك عن حمام الدماء.. حتى الرمال تشربت واكتفت والدماء لم تنضب بل تجلطت مكانها أسفل الجثامين التي اعتادت أن تكون مُستقرها في الماضي، من لا يحتفظ برابطٍ بين عُنقه وجسده وُضعت رأسه أسفل قدميه مُغطاة بالدم المتجلط الذي كان يقطُر من جسده، قد حممهم بدمائهم، هذا.. هذا كثير للغاية، تساءلت داليدا في البداية عن الاثنين اللذين يحوزان رأسيهما، عن جاسوسيّ في شركة كالابريا.. وإيمانويل.

- سأستفرغُ روحي.

- ليس بعد، ما هذه سوى البداية.

استدارت داليدا بعدما تم اقتطاع جُملتها ولكن أنا لم أحتج رؤيتهُ أمامي، كل ما أريدهُ هو ملء عيني بالمشهد أمامي، لتتأكد الحاجة لجعله مكانهم في قلبي، ليوافق عقلي على ما أريده، ليترُكني مرة واحدة أتخلى فيها عن مبادئي، أستمتع بتعذيبه حتى الموت كثمن هيّن لكل ما سرقه منّي.

- نادم من الآن؟ لا يا عزيزي ما كدتُ أبدأُ حتى.

- لن تمتلك وقتًا في حياتكَ لتُكمل ما بدأته.

- ماذا؟

استدرتُ سريعًا ووضعتُ مقدمة مسدسين أمام وجهه الذي كان قريبًا بدرجة كافيًا لينفجر بمجرد ضغطي على الزناد، ولكن بدلًا من هذا احتشد حولنا

العديد من رجاله يرفعون أسلحة بيضاء وبندقيات ومسدسات بكافة الأشكال والأنواع، هذا الوغد اللعين لم يأتِ خالي الوفاض.

- أبتغي القول بأن هذا ليس من شيم القتال العادل يا يونيتا، ولكن لا أنت تمتلك شيمًا ولا تدري معنى القتال العادل، أيها الحقير الذي يؤمن بمبدأ الكثرة تغلبُ الشجاعة.

وجّه كلٌّ منّا نظره نحو داليدا التي كانت تحمل سلاحها بكفها الأيسر وتستقر يُمناها على شفتيها يجتمع طرفا إصبعا الإبهام والسبابة داخل فمها، لينطلق صفيرها عاليًا رغم تيار الهواء، حينما نزعت يدها أصبحنا مُحاطين بدائرتين من البشر، الأقرب تخصُّ هذا العاهر والثانية - وهي الأكبر- تغلق سُبل الهرب على الأولى ليتقدم من بينهم صاموئيل ويقف بجانب سيدته، كانت دائمًا ما تسبقني بخطوة للأمام بشكل مذهل.

- اهتم بعملك يا إيڤان، سأعطيك معروفًا أسترده بأي وقتٍ أشاء وأتولى أمر هذا الذباب لأجلكَ، جدعنة المصريين في دمي بقى.

ابتسمت حيث أنني فهمتها لأول مرة، بينما وضع سام مسدسًا آخر في يدها الحُرة لتبسط ذراعيها بمستوى أفقي ثم تُطلق النار في اتجاهين متعاكسين، سقطت ذُبابتان وبدأت معركتها، أعدتُ عينيّ للذي يتميزُ على جمر غضبه واقفًا أمامي، بدأت قدماي الاقتراب ثم أخفضتُ أسلحتي.

- لا أعتقد أن ميتة سريعة مريحة قد تشفي غليلي تجاهكَ يا يونيتا.

رغم عُمره الذي وصل الستين ولكن ما زال شعره يصل لعُنقه مُحتفظًا بلمعته السوداء تحت الشمس، عينان زرقاء صافية وبنية جسدية متوازنة إلى حدٍ ما، توقف الزمن عنده على ما أعتقد، مرر أصابعه داخل شعره بنفاد صبر ثم اختار محادثتي:

- آه أرجوك، أنت لم تقتل أرنبًا من قبل، الآن تخططُ لتعذيبي؟

- أُفضلُ ألا تختبر صبري..

تعالت ضحكاته بغرور خلال حلّه لأزرار بذلته ورميه لها بعيدًا بعد خلعها تمامًا، وضعتُ المسدسين داخل ملابسي من الخلف سريعًا قبل أن أستقبل أول لكمة منه تجاه وجهي.

- ستثبتُ لي كونكَ أحمقًا إن اعتمدت فعلًا على امرأة لتقوم بعملك.

قمتُ بصدها مع مثيلتها ثم استدرتُ على قدمٍ واحدة وعاجلته بضربة من مرفقي الأيمن في بطنه، بينما استمر حديثنا طبيعيًا.

- أنت آخر حقير يتحدث عن اللعب بالنساء واستخدامهن.

قهقه مرة ثانية وهو يرفع قدمه ويهوي بها مستهدفًا وجهي، اللعنة على العجائز الذين يواظبون على الرياضة بنشاط، لِم لا يُعاني في المشفى من الأمراض المزمنة كبقيتهم؟ صددتُها ويدي اليسرى تعزز ذراعي الأيمن بهدف إبعاد قدمه ودفعه بعيدًا.

- أنت تتحدث عن ڤيور، كان هذا بإرادتها تمامًا.

- لم أعلم أن التهديد بالوالدين والإرغام بقذارة نابع من الرغبة الشخصية.

ضربني أسفل قفصي الصدري تمامًا فتراجعتُ على أثره عدة خطوات للخلف حتى شعرتُ بالماء البارد يتخلل حذائي.

- ألم توافق بلسانها؟، إذًا هو بإرادتها، لا تحادثني في تفاصيل غير مفيدة.

اقترب منّي يحاول الوصول لرأسي ليضربها برُكبته التي تُحلق في الهواء، استغللتُ الفرصة وعرقلتُ قدمه الثابتة ليسقط في الماء ورفعته من ثيابه بالكاد تتلامس رأسه مع مياه البحر، صرختُ وشعرتُ بعروقي تنفجر.

- بحق خالق الجحيم ما الذي فعلتَه لأمي؟

- أحقًا تُريد منّي إسماعك؟

ساد الصمت بيننا ونحنُ على نفس الوضع إلى أن ابتسم باتساع فظهرت أنيابه واحدًا باللون الذهبي والأخر من الفضة، مقزز.

- حسنًا، ولِم لا؟

ابتسامته تلك.. أريد تهشيمها، ولكن أوقفني بدؤه في الاسترسال.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل الثامن عشر

«...»

- قبل ما يُقارب الثلاثين عامًا-

- كما اتفقنا، سيكون بيتر نوستارا في بولونيا خلال عُطلة الأسبوع المُقبِل، احزمي أمتعتكِ.

وقفَت أمامه مُغلقةً أصابعها بشدة على تنورة الخادمات السوداء التي ترتديها، ارتجف جسدها لتظهر الرعشة في صوتها واضحة.

- نحـ نحن لم نتفق على أي شيء.

رفع يونيتا عينه من على الأوراق التي تستقر على سطح مكتبه مُنتظرةً توقيعه، لا تعلم إذا كان يهيم في فضاء عقله الخاص أم يعمل على تجهيز ردٍ ما ولكنّه لبث يُحدق بها لوهلة، بدأ الانهيار يستحوذ عليها أمام نظراته وهنا بالضبط قرر الحديث، كان يعلمُ تأثيره عليها.

- إن كنتِ تنتظرين منّي رعايتكِ ووالديكِ بأموالي وتحت سقف بيتي عليكِ العمل لاستحقاق هذا.

- أنـ أنا بالفعل أخدم ابنة حضرَتِكَ.

أدار مقعده الجلدي ذو الأرجل المتحركة ثم قام يرتدي بذلته ليقف أمامها ويمسك ذقنها بين إصبعي يده ورفعها لتواجهه بدلًا من الأرض خلال استرساله:

- أستطيع إحضار خادمة جديدة لابنتي، إن لم يكن لديكِ مبررات أخرى سترين تذكرة الذهاب إلى بولونيا في غرفتكِ، سافري ولا تعودي إلا معه.

تخطاها ليقف أمام الباب وقبل خروجه تمامًا من المكتب التفت لها نصف دائرة وألقى تهديده الأخير:

- هذا وإما تركتم مسكنكم مساء الغد.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بعد يومين من هذا الموقف آل بها الحال لوقوفها أمام ملعب الغولف الذي سبق وأن دخله بيتر نوستارا قبل هنية، فوجئت بالمبعوث الخاص من يونيتا يعطيها جدول تحركات بيتر لليومين التاليين وبطاقة تعريف واشتراك في عدّة أماكن مختلفة، كانت تعلم أنه لن يبقى سوى القليل من الأيام في بولونيا لذا أصبح عليها التحرك سريعًا، أحكمت قبضتها على سلسال حقيبتها الغالية التي

لم تتوقع أن ترتدي مثلها في أحلامها، أخذت شهيقًا طويلًا ثم زفرته على أربع مرات حتى قررت في النهاية الولوج بثقة مصطنعة، التقطت عيناها الشخص المعني لهدفها فورما وجدت تجمهر من الفتيات حول رجلٍ واحد، وقفت تتحين فرصتها بجانب آلة صنع المشروبات الساخنة إلى أن انفصل عنهم واقترب منها - من الآلة- فمثّلت إغلاقها للهاتف بحنق وتحركها من أمام الآلة مما سبب ارتطامها بجسده الطويل بالنسبة لضآلتها.

- احترسي!

شكرت الله تحت أنفاسها كثيرًا لإمساكه بها قبل أن تسقط، لم تكن لتخرج دون إصابة إذ ارتدت تنورة قصيرة بأمرٍ من يونيتا، حاولت الوقوف بطريقة صحيحة لتضع عينيها بالأرض وتشبك أصابع يديها بتوتر ظاهر.

- أأنتِ بخير؟

- بالغُ أسفي، لم أنظر للطريق قبل أن أستدير.

- لا بأس عليكِ نهائيًا!

ظلّت على حالها تتململُ في إحراج، تعلمُ أنه سيبتلع الطُعم.

- إن لم تمانعي تطفلي أريد إيصالكِ لصالة حجزكِ، هذا إن لم تكوني في انتظار مُرافقكِ بالطبع.

ابتسمت بمرارة قبل أن تشيح بوجهها في اتجاهٍ مختلف و..

- لا أُمانع أبدًا، في الحقيقة قد اعتذر أصدقائي عن الموعد فجأة وتركوني بمفردي، بالإضافة إلى أن هذه أول مرّة لي في ملاعب الغولف فلا أمتلكُ الخبرة.

ارتدت نظرة الأرنب المسكين مع لمسها لطرف بذلته بعُقلتي إصبعي السبابة والإبهام ثم ركزت نظراتها عليه، من المحال على زير نساءٍ مثله ألا يقع في شباكها تلك.

- يا للعار، كيف لهم ترككِ بمفردكِ؟ اسمحي لي بإرشادكِ من الآن فصاعدًا.

هكذا بدأت تُغدق في النِعم بسببه حتى انتهى بها الأمر بجانبه في طائرة العودة إلى تاورمينا، ظلّ يُحدقُ فيها لخمس دقائق كاملة سببت لها الإزعاج.

- أهناكَ شيءٌ على وجهي؟

- جَمال القمر.

لم تكن تحملُ ما يدل على الإطراء بل تعبير شخص على وشك الاستفراغ، وضع بيتر يده على وجنتها ومررها حتى سار خلال شعرها إلى نهايته.

- سآخذكِ معي لمنزل نوستارا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

بين جُملته تلك وتنفيذه لها مرّ نصفُ يوم، كانت بالفعل تعلمُ أنه لعوب حقير إثر سؤالها عنه للخادمات التي يخرجن ويتواصلن مع العاملين بقصر نوستارا، ولكن ليصل به الغرور لأن يأخذ فتاةً لم يخرج معها سوى ثلاثة أيام لمنزله! كان ذلك يتعدى حدود المنطق، مما فهمته بعدها أنه أراد عُذرًا يزيحُ عنه إرهاق التبرير المستمر لسهره خارجًا حتى أوقات متأخرة تصل لطلوع الشمس في بعض الأحيان، هكذا وقفت أمام أبيه وأخته في مكتب الأول، إذ أنها لا تستحق التواجد في قاعة الاستقبال، وليس هذا آخر المُفاجآت.

- سأتزوجها يا أبي.

لولا أنها تعلمت أن التزاوج الذاتي لا يعملٍ مع الجنس البشري لظنت أنه يتحدث عن نفسه الأخرى وهي هنا لدعمه مثلًا، ولكنه كان جادًا حيال ما يتفوهُ به، كونها قد أفصحت مسبقًا عن كذبة أن والديها متوفيان وهي ابنة وحيدة جعلها لُقمة مستساغة بين أنيابه، لاقى اعترافه وكالمتوقع رفضًا جامحًا.

- لن يحدث وإن كان على جُثتكَ، تحضر لي امرأة من الشارع وتخبرني أنك ستعقد قرانكَ الوحيد عليها دون موافقتي!

كانت تلك أول مرة ترى فيها باسكال نوستارا، خاصة وهو يخوض شجار نهاية العالم مع ابنه الأوسط، يتشابهان وكأن بيتر طُبع من استنساخٍ لأبيه، قلبًا وقالبًا، وما زاد الطين بِلّة هو ركوعه على ركبة واحدة أمامها وإخراجه لخاتمٍ مُرصّع بالألماس يضعه بخنصرها الأيمن قبل أي سؤال حتى بعد أن تم طردهما من مكتب والده.

- تزوجيني، سأحارب عائلتي لأجل إعجابي اللحظيّ بكِ يا ڤيور.

لم تكن هذه رومانسية، كانت بداية فيلم رُعب.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لساعة ونصف ظلّ هذا هو الحوار الدائر بين ڤيور ويونيتا، ما لبث بعد أن استمع للمستجدات وبدأ بتحضير الخطة التي ستسير عليها الدمية بالخيوط التي يلعب بها بين يديه.

- ستنقلين أخبار باسكال وإيزابيلا لي بالحرف، هاذان الاثنان هما أهم فردين في عائلة نوستارا، زوجكِ الأحمق ما هو إلا وسيلة، مُبارك يا ڤيور على زواجكِ

الذهبي.

حدث بعدها حفل الزواج وانتقالها لمنزل بيتر نوستارا وإيضاح أو الكذب على والديها بالأصح فيما يجري مع حياتها كيلا يساورهما القلق في مُدة لم تتخطَ الشهر، تعجب لسرعة الوضع مع الرفض الذي حافظ عليه رئيس العائلة، مع ذلك هو لم يحضر الزفاف الضيق وظل بيتر على حاله يسهر في الخارج ثم يعود مع شروق الشمس مخمورًا لا يعرف كيف وصل بيته بسلام، استمرت ڤيور في نقل أسرار وأخبار باسكال وإيزابيلا كلما سنحت لها الفرصة مع الحرص على إخفاء أثرها، بعد أن تبخرت من حياتها ثلاث سنوات اكتشفت خبر حملها بأول طفلٍ لها بعد جنازة والديها بيومين، تخلّت عن عملها في طرف يونيتا وحاولت إجهاض الطفل عدّة مرات فاشلة بدافع الشفقة عليه من الواقع الذي سيعايشه مع عائلة ترى كل من لا يتماشى مع أسلوبهم حثالة لا يستحق سوى الدهس.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

على عكس إرادتها وُلد طفلها الوحيد بصحة ممتازة ليستخدمها ضد والده وجدّه الذي لم يعترف بوجوده ولم يتركه يناديه بجدّي كأقل حقوقه، رغمًا عنها رقّت له وحاولت احتضانه علّها تُخفيه بعيدًا عن كل من يترصد له، حتى عندما تم اكتشافها بعد مرور بضعة أعوام وتهديد باسكال لها بالقتل وتخلي يونيتا عنها لم يمنعها كبرياؤها من التوسل تحت أقدام عمّ طفلها الأصغر، كان رافضًا للانخراط في أمور عائلته تمامًا فأصبحت قادرة على عدّ المرّات التي رأته فيها على أصابعها، ومع ذلك علمت في قرارة قلبها أنه ونِعم الشخص الذي إن تركت ابنها بمفرده لن تأتمنه في يد أحدٍ بخلاف ألبيرتينو، لم يكن كبيتر.. لم ترهُ يتطاول بلسانه أو بيده على زوجتهِ أو أحدٍ من أطفاله، بل كانوا خطًا أحمر للجحيم إن حاول أحدٌ منهم وضع إصبعٍ عليهم بدون إذنه، لم تسمع عن شجارهم أبدًا وحينما أبصرته غاضبًا في الحديقة ظلّت تراقبه حتى يهدأ ثم يعود لغرفته، في قرارة قلبها تمنت لو أن نصيبها كان شخصًا يشبهه، تمنت.. ونَمتْ في قلبها الغِبطة.

«كانوا أخوة ولكن كاليين واليانغ، كالأبيض ونقيضه.»

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل التاسع عشر
«داليدا»

- أرسلها باسكال إليّ وهي تعرجُ بقدم تقطرُ منها الدماء.

أصابت رصاصتي رأس آخر مزعج أمامي حينما انتبهتُ لجُملته التي جعلت إيڤان يرفع جسده من المياه ويلقيه بعيدًا على الرمال، أخرج سلاحه وأطلق النار على فخذ يونيتا الأيسر ثم نظيرهُ، كان صوت الأمواج هو الغالب حولنا ولكن الآن أخذ صراخ كلابريا هذا المركز، قطع صوته المسافات بيننا بشكل مؤلم له ومريح لنا.

- وما الذي فعلتَهُ بعدما جاءتكَ مُصابة؟

وضع كفّي يديه كل واحدٍ منهما على ثُقب في جسده، نظر لإيڤان وهو يصيح تكاد حنجرتهُ أن تتمزق، رغم ذلك لبث يضحك.

- أتظنُ صدقًا أنني سأعالجها وأهتم بها مثلًا! قد غيّرت عملها لجاسوس مزدوج للطرفين بمقابل حمايتك من نفس الشخصين اللذين تعمل تحت أرجلهما، بالطبع بطشتُ بتلك العاهرة حتى تكون مثالًا لمن سيخلفها.

أقسم أن عينه أظلمت قبل أن يهوي مسدسه من يده ويركض ليمسك يونيتا من تلابيبه، بين ثانية كان بعيدًا هادئًا ليفكر والثانية الأخرى ها هو يلكمُ عدوّه يكاد يهشّم رأسه تحت يديه، آثرتُ تركه يفرغ حقد طفولته على مُسببه إلى أن رأيتُ ما أرغمني على تبديل أفكاري والصراخ خلال إسراعي تجاهه.

- ابتعد عنه حالًا يا إيڤان!

ضربتُ كتف سام خلال تحرُكي مُشيرة له بالانسحاب السريع، ركضتُ بالسرعة الكافية التي جعلتني أضربُ كتفي بجسد شريكي المُغيب وأسقطه من فوق المعتوه الذي سيفجر نفسه ونحن معهُ، استفاق إيڤان من ظلام عقله على حين غرّة خلال محاولاتي المُضنية في الاستقامة بعنف وسحبه معي بعيدًا، توقفت خلايا عقلي عن العمل بينما اختفى من أمام عينيّ كل شيء إلا يونيتا وهو يكشفُ عن قُنبلة مصغرة ويشدُ قُفلها اليدوي، لم يصل لأُذنيّ أي صوت بعد الصمم الذي أصابها نتيجةً لدوّي الانفجار القريب، كان المشهد بأكملهِ دراميًا بحق، عندما فتحتُ عينيّ مجددًا قابلتهما حرارة النار المشتعلة وجسد يحجبُ الرؤية عني تمامًا، بدأت الصورة تتضح وشعوري بجسد إيڤان من فوقي أصبح واقعًا لا اعتراض عليه إذ أنه سقط بثقله الكامل عليّ.

- إيڤان؟ إيڤان أجبني!

ما عاد التنفسُ سهلًا من جميع النواحي، حاولتُ التملصُ بحرص من أسفل جسده الذي أصبح بلا حولٍ ولا قوة ثم توقفتُ فجأة عندما وضعتُ يدي على ظهرهِ لأحركه وتلامست أصابعي مع قطعة كبيرة من الزجاج ملطخة باللون الأحمر القاني تُغلقُ جرحًا بحجمها على أقل تقدير.

- إيڤان أنت سامعني؟، أرجوكَ إن كنت تشعرُ بي قم بإصدار أي حركة.

لم أعد أستوعب أي لُغة أنطق بها بين العامية والعربية الفُصحى والإنجليزية والإيطالية، كان جلّ ما يدور بعقلي هو التمني ألا يفارق روحهُ بين يدي الآن، نظرتُ حولي فلم أجد سوى النيران المنبعثة من سيارة يونيتا التي كانت بقربه قبل حركته الأخيرة فيبدو أنها انفجرت عندما لامستها النار، تهدم جدار الجُثث ولم أبصر صاموئيل ولا أيٍّ من رجالي، يا إلهي أرجو أن يكونوا على قيد الحياة.

- دا.. داليدا؟

التفتُ بكلِّ ما عندي من قوة تجاه رأسه الذي وضعته على فخذي وأنا راكعة على ركبتيّ أمامه إذ أن أسوأ فكرة الآن هي جعله ينام على ظهره بدلًا من بطنه.

- يستحسنُ أن تتمسك بحالتك المتيقظة حتى أجد طريقة نصل بها للمشفى سريعًا، لا تُلقي على كاهلي عاقبة قتل أكثر أعدائي كراهةً.

رفع يُمناه بارتجافها فأعدتُها إلى جانبه بحذر، صوته كان ضعيفًا للغاية.

- تكرهينني؟

- ما الذي تتوقع مني فعله لحفيد العائلة المُصادقة لعدونا؟ كنّا أعداءً مع المنفعة.

وصلت يده إلى وجنتي تمسحُ السائل المالح عنها بثِقل، نظرتُ لأجده يجاهد في رفع رأسه تجاهي ويبتسم بارتعاش.

- يا لها من دموع جميلة تهدرينها على من تكرهينه.

هاجمني الإدراك لسقوط يده فجأة وإغماضه لعينيه بقوة، كاد أن يُصيبني الارتعاد قبل أن أشعر بكف مألوف يوضع على كتفي، استدرتُ لأرى صاموئيل يحاول صنع ابتسامة لا تكاد تصل لشفتيه.

- سأحمله مع اثنين من رجالنا، فقط اذهبي بعيدًا عن النيران تجاه السيّارة.

- سام!

- لا تقلقي، هيّا كيلا نضيع وقتًا إضافيًا.

لم أستوعب قلقي ولا أن سبب الدموع التي تغمر وجهي طبقات ليس ضرواة النار، بل أنني بالفعل أرتعد خوفًا، لم أكنُ أعلم أنه قد حصل على مكانٍ بمثل هذا العمق لدي، وانتبهتُ لهذا مُتأخرًا للغاية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الفصل العشرون
النهاية

«إيقان»

غدرَ بي ضوء الغرفة وكاد أن يصيبني بالعمى بمجرد فتحي لعينيّ حتى أنه أصبح من الصعب عليّ تحديدُ أيهما أقوى، ألم عينيّ أم نهاية عمودي الفقري، عندما لم أتعرف على المكان الذي أمكثُ فيه هاجمتني جميع السيناريوهات التي قرأتها في الروايات، فُجعتُ وأنا أحاول تجربة قدميّ فوجدتُ أنها ما زالت تتحركُ بإرادتي مما أراحني بدرجة كبيرة، هل ذكرتُ أنني أكره النوم بفراشٍ غير الذي يخصُني قبلًا؟

- أرى أرى، أميرتنا النائمة قد استيقظت.

كانت تقفُ مُتكئة بكتفها على إطار الباب وتعقدُ ذراعيها وقدميها بصورة متعاكسة، ابتسمت وهي تتمتم بشيء يُشبه الحمد لربها ثم اقتربت من مكان نومي، وضعت يدها على جبهتي لثلاث ثوان قبل أن تلقي نفسها في أحضان المقعد المجاور للفراش، ارتاحت بجلستها ووضعت قدمًا فوق الأخرى ترتدي نفس البيّادة المعتادة ثم أردفت:

- تحسن سريعًا فأبي يُريد رؤيتكَ.

رفعتُ ذراعيّ بصعوبة أُعاكسهما على صدري ومثلتُ الخوف.

- لا تخبريني أنني تقدمتُ لكِ خلال نومي!

نزعت وسادة صغيرة من خلف ظهرها وألقتها بوجهي فسقطتُ مجددًا بعدما عانيتُ لأرفع رأسي في الهواء.

- في أحلامك أيها المغرور، وكلّا أنت لم تكن نائمًا بل دخلت فيما يُشبه الغيبوبة لمدة أسبوع.

- يُشبه؟ واثقٌ أن هذا هو أبسط مفهوم للغيبوبة.

- أيًّا يكن، لا تملأ عقلي بالحديث الفارغ، الآن وقد اطمأننتُ عليك سأذهب لإنجاز عملي.

ضربت المقعد بيديها لمرة ثم استقامت لتخرج من الغرفة قبل أن أقاطعها دون أن تلتفت لتنظر لي.

- أشكركِ يا داليدا، لم أكن لأبقى على قيد الحياة دونكِ.

أخذت دقيقة أو اثنتين صامتة حتى أن الشك ساورني في انعدام وجود ردٍ من الأساس.

- فقط باشر بالتحسُّن، وهذا بالفعل يكفيني.

سارعت بالهروب بينما اعتلت شفتيّ ابتسامة واسعة اختفت عندما دخل صاموئيل بعدها مباشرة يسأل عن حالي وطلباتي، علمتُ منه أنني في قصر ندرانغيتا وملكية والد داليدا رئيس العائلة الحالي، لم يوافق على إخباري بأيٍّ مما حدث خلال انقطاع وعيي عن العالم وظل يردد جملة واحدة.

«عند مقابلتك لسيدي إسماعيل ستفهم كلّ شيء»

كان السأم قد أصابني من الجلوس دون فعل أي شيء فطلبتهُ مجددًا ليأخذني في جولة بطيئة وقصيرة حول القصر - خصوصًا بعدما علمتُ بوجود مكتبة هنا- ، ظلّ يشرح أسماء الأماكن بشغف ورأيتُ عينيه تلمعان فمن الجلّي للأعمى أنه يحب هذا القصر وأصحابه حُبًا جمًّا، حتى توقف فجأة عندما رأيتُ داليدا تُحادث ثلاث رجال لا ينظرون لها في عينيها حتى بلا أي تعبير يعتلي وجهها حرفيًا، استدرتُ له بما سمح لي عكازي أن أفعله.

- هل تعلم أنها لم تخرج من غرفتك خلال الغيبوبة التي دخلت بها إلا للأساسيات التي تخُصها؟ حتى أنها كانت تُباشر عملها من الكُرسيّ المجاور لسريرك.

شُدهت للحظات سببت ترددًا في كلماتي.

- وكيف لي العلمُ بهذا؟

نظر إليها مجددًا وألقى كلماته ثم تركني بين الحديقة والمكتبة متوسطة الحجم وانصرف.

- وقتما أفقتَ كنتُ مارًا بجانب غُرفتك رأيتها تركض خارجها ثم جلست القُرفصاء أمام الباب لتأخذ أنفاسها وكأنها هربت من قبضة رئتيها مع ابتسامة اجتاحت وجهها بضراوة حتى أنها ذرفت بعض الدموع، ظلّت هكذا لدقائق قبل أن تعاود الدخول كأنها أول مرة بهدوء ورزانة، لم تكن شخصيتها هي ما أراه كلّ يومٍ بل ما شهدته في تلك الدقائق، أرجو منك تقدير هذا.

ظل ما قاله يدور بعقلي حتى بعد عشرة أيام من المناوشات التي لا هدف يُرجى منها مع داليدا، جلستُ في المكتبة التي أصبح لي مكانٌ مخصص بها مع مرور الوقت، أفتحُ كتابًا لا أعلم حتى عُنوانه ولكن أظنه يمتُّ للإسلام بصلة ما كأغلب الكتب هنا إذ أن المشهد خارج النافذة قد أسرني.

- أرى أنك في المكتبة كما توقعت، أردتُ تجربة تخميني دون سؤال الخدم هذه المرة.

قاطعني صوت ذكوري بلكنة مألوفة وعندما استدرت لم أجد سوى الرجل الذي ظللتُ أراه بالصور معها أينما ذهبتُ في هذا المنزل، جلس إسماعيل ندرانغيتا على المقعد الخشبي المُبطن بجانبي ثم وصع مرفقيه على الطاولة بشكل المستطيل، وجدته ينظر من خلال النافذة كما كنتُ أفعل قبل أن يقاطع تحديقي في ابنته التي تلعبُ مع أطفال الخادمات في الحديقة، كانا مُستنسخين من بعضهما البعض دون ذكر شعره المموج باللون البُني الداكن حتى شعورك بأن لونه أسود، آثرتُ الاستهلال في الحديث بنفسي بعد صمته.

- أشكركَ على استضافتي بمنزلك برحابة صدر، إذ أنني على عِلم بالعلاقة السيئة من طرف عائلتي.

لوّح بيده مرتين ثم عاد بظهره وجلس في أريحية تامة.

- لا بأس عليك؛ لا توجد علاقة سيئة من طرف واحد.. لا بد وأن الطرفين قد أخطآ بطريقةٍ ما، ليس وكأنني سأقتلك بسبب عائلتك، حسنًا كُنت سأقتلكَ فعلًا ولكن ليس بسبب عائلتك بل للحالة التي عادت بها داليدا من آخر حادثة لكم مع يونيتا وأيضًا رفضي لكَ منذ أول مرة ذكرتك فيها ابنتي، ولكن لا يسهلُ التحكم بتلك المتمردة فأحيانًا ما أُذعنُ لرغباتها، مهما كان عداوة عائلاتنا ليس لها علاقة بذلك.

- لا أدري أعليّ الخوف أم أن أطير فرحًا.

قهقه عاليًا ثم ربّت على كتفي بقوة خلال حديثه.

- أوضحت داليدا كيف حميتها من والدك وعمتك وكيف أنك جدير بالثقة والكثير من الهراء الذي جعلني أغارُ قليلًا، ربما لم يكن علي إدخالُها عالم العصابات في النهاية ولكن تركتُك بعدما اقتنعتُ فأنا أضع ثقتي الكاملة بها، ومع ذلك ليس هذا غرض قدومي اليوم.

تبدل حاله من السخرية التامة للجديّة الشديدة في آنٍ واحد، جعلني هذا أعقدُ حاجبيّ في ترقب لما هو قادم.

- والدُك وعمّتك.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

جلستُ داخل قاعة الزيارة العامة بين أبواب وجدران وحُرّاس سجن ميسينا بجزيرة صقلية، لم أقدر احتواء غضبي فلبثتُ أحرك قدمي في سرعة هستيرية، أتيتُ بمفردي بعد صراع طويل الأمد مع داليدا وحُججها التي لم

تنضب حتى تأتي برفقتي، ولكن هذه المرّة عليّ مواجهته بمفردي، تركتُ ظهري يواجه الباب ولم أرد التركيز في كل شخص يدخل ويخرج إلى أن جلس واستكان أمامي بضعف، بيتر نوستارا..

- هاه..!

تنهدتُ بذهول تام، لم أصدق كلمات إسماعيل ندرانغيتا في البداية عندما قال أن أبي قد تم القبضُ عليه بعد أن جُن جنونهُ فجأة وصار يشربُ الخمر في الشوارع ويمارسُ الزنا وتجارة المخدرات دون أن يُعاني ولو قليلًا في إخفاء أفعاله، بينما تم حبس عمتي في البيت من قِبل ذاتها بسبب إحراجها وتبرّيها التام من الصلة بينها وبين أفراد العائلة، أستطيع توقع هروب عمّي ألبيرت مع زوجته وأولاده بعيدًا ولا ألومه، إذ أنني قرأتُ الرسالة الطويلة التي تركها عندما قام بزيارتي خلال فترة الغيبوبة، سمح له والد داليدا بالدخول لعلمه أنه يختلفُ عن باقي العائلة، أخرجتُ آخر بطاقتين من بطاقات التاروت اللاتي ورثتهم ثم ألقيتهم بوجهه وتحدثتُ بغضبٍ تلجُمه قوانين السجن.

- بطاقتا الساحر والإمبراطورة، ترمز الأولى للتضحية والصحة السيئة والضياع نتيجة لاتباع الطريق الخاطئ، والأخرى تعطي رسالة محددة للأنوثة والأمومة بالأخص، ظننتُ أن الرئيس كان نادمًا على ما فعلتموه بي وبأمي، ولكن أفعالكَ تقول أنه يعتذر عن نفسه فقط.

- أراد جدُكَ تصحيح ما اقترفهُ.

- وأنت لم تجد خطئًا ليتم تصحيحه؟

وضع وجهه بيديه وتنهد عدّة مرات حتى أنني ظننتهُ يبكي، ولكن هيهات فلا تمتلكُ الحجارة نعمة الدموع.

- قبل مقتله بعدّة أشهر اكتشفتُ وجود أدوية لم تكن لها علاقة بأمراضه المُزمنة داخل مكتبه، اشتدت المشاحناتُ بيننا حتى عرفتُ أنه يتعالج نفسيًا، كان يعلم أنه مريض.

- ولم يخبرك أنك على شاكلتهِ من الضرر؟

- لم أُرد الاعتراف.

- استحوذت عليكَ النرجسية حتى آخر لحظة، أنت فعليًا لا تستحقُ أكثر من هذا.

رفع عينيه ليرمقني بنظراتٍ فَزِعة، كنتُ قد استقمتُ واقفًا قبل ثوانٍ لأستدير أنوي الخروج بلا عودة قبل أن يتمسك بذراعي ويصيح عاليًا.

- ما الذي تعنيه بقولك «أكثر من هذا»!

صفعتُ يده بعيدًا عني في تقزز لأتحدث بهسيس كالأفاعي.

- هرب عمّي ألبيرت وأولاده الله وحده يعلم أين هم الآن وعمّتي دخلت بحالة صرع وحبست نفسها في جناحها لأسبوعين متتاليين مما يعني أن جميع نفوذ نوستارا المتبقية أمست في راحة يدي كما أوصى الرئيس في رسالته إليّ داخل الظرف المشهور، سأبيعها بأكملها حتى ولو بثمنٍ بخس وأسلمهمُ لندرانغيتا مُقابل مُساعدتهم لي وإبقائهم على روحي، سأترككما بلا ليرة واحدة، بالنسبة لأشخاصٍ تتنفس التحكم بالبشر وكأنهم لا يسوون شيئًا هذا هو الجحيم بعينهِ، لن تجد من تأمرهُ ويبجلكُ ويعظّمُ في صفاتٍ لا تملكُها، فلتجلس هنا وتحاول التفكير في شيء تتفاخر به على المساجين أمثالك أيها النرجسي المغرور، كنتُ سأقتلك وأدوس على قلبك بقدمي ولكن غيرتُ رأيي فهذا سيكون سهلًا جدًا، سأتركك تُعاني حتى تموت في النهاية بحسرتك.

يقولون أن هناك خمس مراحل للحزن..

إنكار،

غضب،

مساومة،

اكتئاب

والتقبل.

لكن أبتغي إضافة واحدة.. الانتقام.

تجاهلتُ صراخه المُصاحب باللعن والسُباب خلف ظهري وخرجتُ من السجن مُقسمًا بألا أعود مجددًا، فالتجاهلُ هو الحل الوحيد لأمثاله، وجدتُ داليدا تقف أمام البوابة مُتكئة بظهرها على سيّارتها السوداء.

- طَهُورٌ بإذن الله.

وقفتُ بجانبها يظهر على قسمات وجهي الارتباك بوضوح.

- لستُ متأكدًا من فهمي لهذه.

- نقولها لمن يتعافى أخيرًا من مرضٍ ظل أزمته لفترة طويلة.

- أجل هذا أنا بالفعل.

تبادلنا الابتسامة الواسعة براحة لم أشعر بها منذ فترة، وفجأة قامت بالتصفيق مرة واحدة عالية وابتعدت عن السيارة لتقترب أكثر وتنظر لي بحماس أراه بعينيها لأول مرة.

- هل فكرت في زيارة مصر قبلًا؟

تبسّمتُ مجددًا وتبعتُها للمقعد المجاور للسائق في السيارة، وقبل ركوبي ألقيتُ نظرة أخيرة على السجن وتذكرتُ رغبتي العارمة بحرقه حيًا عندما كُنت في طريقي إليه ثم نظرتُ لداليدا ولم تُنِر عقلي سوى جملة واحدة، إن نجحت وأخذت انتقامي ماذا سيتبقى لي غير الفراغ بعد تبخر الشعور بالألم؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تمت بحمد الله

٢٧ /٨ /٢٠٢٢م

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما بعد النهاية

- لا أعلم جديًا ما الذي آتي بي معكَ كل الطريق إلى هنا.

- وكأنني قد أجبرتُكِ مثلًا!

جلسَت على المقعد بجانبي في صالة الانتظار تتذمر كما العادة، خلال وقتنا الضائع في المطار تواصلتُ مع الطبيبة التي استضافتني سابقًا بمصحّتها في كوريا الجنوبية قبل عامين عندما حضرتُ مؤتمرًا ما للمتخصصين في دراسة علم النفس ومجالاته، هناك قابلتُ فتى لا أعلمُ حتى الآن سبب تواجده في المصحّة إذ أنه بدا طبيعيًا لدرجة معينة - وليس بمقدورك الحُكم على البشر من إطارهم الخارجي- ، صادقته بعد ترددي عليها عدّة مرّات وانتهي بي الأمر بإعطائه وعدًا كلّفني وقتي وطريقي عائدًا إلى كوريا الجنوبية مجددًا.

- كيف لكَ مجرد التفكير بالمجيء إلى سيول ثم الذهاب إلى دايجون بالسيّارة فقط لأخذ شخصٍ واحد؟ هذا غير منطقي.

تركتُ النظر في هاتفي واستدرتُ أواجهها، ككل مرة لفت نظري الحلقة الفضيّة حول حاجبها الأيمن، أردفتُ بهدوء.

- يجبُ عليّ إحضاره بنفسي لأسباب آثرت الطبيبة الاحتفاظ بها لنفسها، بالإضافة إلى أنه يجب عليّ الإيفاء بوعدي كاملًا، وأنا بالفعل أخبرتُكِ أن تسبقيني على وجهتكِ في مصر وسآتي بهِ إلى المكان الذي اتفقنا عليه.

أشاحت بوجهها بعيدًا وهي تعقد ذراعيها أمامها في حنقٍ زائف، أحيانًا تُصبح كالطفلة في تصرفاتها وهذا لا يُغضبني إذ أنني انتبهتُ أنه لا يحدثُ إلا في وجودي، نوعًا ما أستمتع بمضايقتها من وقت للآخر، مرّت ساعتان ووجدنا أنفسنا أمام مستشفى دايجون النفسي، هناك استقبلنا شاب يظهر على ملامحه أنه في أواخر العقد الثاني من عُمره، عانقتهُ مُرحبًا بنفسي عندما لاحظتُ استمرار مشاكل انعدام الثقة لديه خصوصًا بوجود فردٍ غير مألوف بجانبي.

- مرّت فترة طويلة يا هيون وو.

- كنّا نتواصل دائمًا مع ذلك.

غمرتني خيبة الأمل لوهلة قبل أن أتفادى هذا الموقف سريعًا.

- التواصل عبر الهاتف لا يُغني الأصدقاء عن رؤية بعضهم وجهًا لوجه أبدًا، المهم.. هذه داليدا أقربُ أصدقائي ولا تتحدثُ كثيرًا لذا تستطيعُ الشعور بالأمان حولها.

شعرتُ بوخزة قوية من أظافرها بجانبي الأيمن تجاهلتُها رغمًا عنّي، أومأ هيون وو برأسه أمامها فقط ثم قادنا طوال الطريق إلى الداخل ثم للطبيبة التي رحّبت بنا بحرارة وأخبرتنا أن نستريح قليلًا قبل انطلاقنا عائدين إلى سيول مع رفيق سفرنا الجديد، عندما كانت تقول «قليلًا» اتضح أنها تقصد عدّة ساعات وبالكاد وصلنا بعدها إلى المطار قبل إغلاق طائرتنا بدقائق، ولم أسلم من الألم في الرأس بسبب الجلوس بينهما، وما بدأ كل هذا هو عِناد داليدا.

- أتعرفُ كيفية التحدثِ بالعربية أو الإنجليزية؟

- لم أكن لآتي معكما إن حدث العكس.

- كيف آل بكَ الحال لتُصادق هذا المدلل هنا؟

نظرَ لها بطريقة حادة ولو كان للنظرات أن تحرق لتفحمت هذه الخرقاء في ثانية، كنتُ على علم بأنه يجد صعوبة في الحديث مع الغرباء وأجهل سبب مضايقة داليدا له بحق، بادر بالرد بعد صمتٍ قصير.

- يُمكنكِ سؤاله شخصيًا إذا أردتِ، ليس وكأنكِ لا تعرفين التحدث بلغةٍ ليس فيها تطفل!

كدتُ أوقفهما ولكن رأيتُ احمرار وجنتيها من الإحراج مما جعلني أحاول كتم ضحكاتي بصعوبة بالغة أدت لسُعالٍ شديد جعل الدم يتجمع في وجهي.

- إيڤان! خذ واشرب بعض الماء.

سارع هيون وو بإعطائي زجاجة بلاستيكية كانت بجانبه ولبثت داليدا تُربتُ على ظهري في هلع خفيف، حينما هدأت شرعتُ في أخذ شهيق طويل وإخراجه على ثلاث مرّات ثم تحدثتُ بصرامة.

- لدي موعد مهم بعد نزولنا من الطائرة فورًا لذا من الأفضل لكما الهدوء وإلا ألقيتكما من النافذة وعِشتُ ما تبقى من حياتي هانئًا.

التزم كل منهما الصمت لعدة ساعات قاما بإمضائها في أشياء مختلفة والحديث المنفرد معي بشكل متقطع، هبطت الطائرة بسلام على أرض الاسكندرية الشهيرة في مصر، وما جعل مزاجي في حالة رائعة هو الهدوء المتبادل حتى وصولنا للفندق وإمضائنا لبعض الوقت في ترك الأمتعة والاستحمام وتغيير ملابس السفر إلى استئجارنا لسيّارة تأخذنا لحي معين من أحياء المدينة، بين الحشود الغفيرة من البشر ومُكبرات الصوت تصدح من كل حدبٍ وصوب بما فسّرتهُ داليدا بأنه «آذان صلاة الجمعة» المخصص لهذا اليوم بالتحديد، كان الوضع غير مألوف من كل الاتجاهات بالنسبة لي ولهيون

وو، ابتداءً من التزاحم الغير طبيعي - والغير مبرر فيمكن حلّه بسهولة لولا سوء التنظيم- إلى صوت الشيخ وما أخبرتني صديقتي العزيزة عند تساؤلي بأنه الآذان ثم يليه الخُطبة تجمع بين أمور الدين والدُنيا بعدها ينتهي الأمر بالصلاة ومن ثم الانتشار حيث يعود كل شخصٍ لشاغلهِ، وصلنا بسلام إلى عيادة طبيبة صدّقتُ أنها مشهورة ومحبوبة بينَ كل من عرفها ولو لفترة قصيرة بينما أثار تعجبي صمت البعض الآخر وتجهمهم عند وقع اسمها، لم أكن واثق لدرجة كبيرة في صحّة كلمات داليدا عندما سألتُها إن كانت تعرفُ أطباءً نفسيين في مصر وأول ما نطقت به كان:

«بالطبع، الطبيبة أسيل غنيّة عن التعريف.»

على غير المُعتاد شعرتُ ببعض الألفة تجاه تلك «الأسيل» ومما فهمته بعدها أنها قابلتها عدة مرات خلال فترة مكوثها في الإسكندرية ثم تطورت العلاقة بينهما بشكلٍ أو بآخر، ولكن بعدما استفسرنا عن الطريق الصحيح المؤدي لعيادتها التي تقبع بنفس المبنى مع بيتها وأجابنا كُل من سُئل بابتسامة واسعة وبهجة جليّة بدأ الفضولُ يساورني تجاهها، وها نحن ذا، ينطقُ هيون وو بالسؤال الذي أعتقد أنه مشترك بيني وبينه فقط دونًا عن العالم.

- مُتأكد من أن هناك عيادة حقيقية متواجدة هنا؟

لا أستطيع القول أنه غير محق في تساؤله، إذ أن المبنى قديم نوعًا ما ولكن مقبول بالاعتماد على أننا أجانب عن هذا المكان ومن غير المألوف رؤية نظام الشوارع والمباني في المدن الجديدة وما زاد الطين بِلّة هو المصباح الكهربائي المُهترئ أمام باب عيادتها في الطابق الفارغ دونها، آمُل ألا يصيبني الندم بعد كل هذا الجُهد..

يُتبع

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

"تنويه"

كُل أسماء العصابات وبعض التفاصيل في الجرائم والمُحاكمات هي حقيقة وواقع بحت، المختلف بين هذه الكلمات والواقع هو تخفيفي لهول الحقيقة المُرّة، فلا تخدعكم القصص الخيالية ولهذا أنصح من يساوره الاهتمام بالبحث عن تلك الأسماء، لمزيد من المعلومات المنطقية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تم الكتاب بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

الفهرس..

عن الكتاب..

إهداءٌ خاص

مقدمة لا بُدَّ منها

ملحوظة مهمة:

المقال الأول
معضلة المحاكاة
The Simulation Argument
المقال الثاني
تأثير مانديلّا
The Mandela Effect
المقال الثالث
دليلك للأبعاد العُلوِيَّة
A Guide to Higher Dimensions
المقال الرابع
هل الظلام أسرع أم الضوء؟!
Which is faster, Darkness or light!?
المقال الخامس
قنبلة الثقب الأسود
Black hole bomb
المقال السادس
مقياس كارداشيف
The Kardashev Scale
المقال السابع
الكوكب X
Planet X
المقال الثامن
مُعضِلة الجَدِّ
The Grandfather Paradox
المقال التاسع
نموذج وولفرام للفيزياء
The Wolfram physics model
المقال العاشر

فيروسات تحت الجليد
Viruses under the ice
المقال الحادي عشر
حكايات عن الموت والعالم الآخر
Tales about death and the afterlife.

خاتمة

مصادر